لـوسيـــن

لـوسـيـــن

روايـــة

نـــوره سعـيـــد

لـوسيـــن

روايـــة

اسم الكاتبة: نـوره سعيـد
تدقيق لغوي: فريق المكتبة العربية
تصميم الغلاف: محمد سعد الشحات
الإخراج الفنيّ: جمال عبدالرحيم
الطبعة / الأولى
رقم الإيداع: ١٥٨٤٤ / ٢٠١٨
طبعت بمطبعة الشروق

حقوق التوزيع

Facebook.com/arabiclibrary2017

((إهداء الكاتب))

إلى تلك الروح التي وضعت جسدي للحياة وتخلت عني في منتصف الطريق...

أمي أنتي بداخل قلبي....

أبي أحبك...

عائلتي التي لم تتخلى عني..أحبكم من صميم قلبي....

كما يفضل رفيق الدرب أن ينادى حضرة الظابط عبدالله السيد....

الدرب بدونك طريق مظلم يا صديقي....كن بقربي دائماً و أبداً....

محمد عفيفي(صديقي المميز)....المختلفون هم الأكثر تأثيراً....

و الأكثر تطوراً....

كن مختلف....لأن أختلافك يجعلك ما أنت عليه....

ميادة وندى و منه....أنتم أعز ما وهبني الله....

أحمد فياض.... مشاعرك الصادقة تفيض....وتغمرني.....

George Richter....u will always be my sunshine....

إلى كل من قرأ رو ايتي و نصحني بصدق...لولاكم لما كنت نشرتها....

أصدقائي...أو من يعتبرني صديقة...شكراً....

Ema...you're the first person who ever knows me well...

thank you....

ندى محمد و سارة.....فليحفظكم الله لي....

سمر محمد فتحي....بارك الله فيكي...أنتي القمر بضيائه...

ليث...أنت رائع حتى إذا ظننت العكس....أنا مؤمنة بك....

فوزي....أشكرك لقربك..لتقبلك....

محمد حافظ....وجب ذكر أسمك هنا....لأنك راااائع يا صديقي.....

عبدالرحمن علام....تأكد أنك شخص مؤثر...شخص مؤثر حتى بأبتسامتك الجميلة....

مريم و هبة....أنتم دروعي الليلية...و سيوفي في الصباح....

و لأقرب شخص في حياتي....أختي يسرا أنت الضوء في ظلامي....

كتبت هذه الرو اية من أعماق قلبي، عشت فيها بكل جوارحي،
كلفتني الكثير من المشاعر و الجهد، هذه الرو اية لكل محاربي المرض النفسي
في مصر، تحديداً أضطراب الشخصية الحدية.
إذا تم تشخيصك به، تذكر كلماتي لك، أنت لست وحدك،
أنت لست ضعيف، و صدقني .. رغم ظلمة أفكارك،
هناك الرمادي و الأبيض بأنتظارك...

((البـعد))

.....الفصل الأول.....

نظرت حولها بتعجب كطفلة فقدت والدتها تحاول أن تستجمع قواها، لكن خانها جسدها؛ فقد كانت ضعيفة... مسلوبة القوى.

فتحت عينيها الواسعة في خمول وشعرها القصير المتطاير وفستانها الضيق الذي يظهر مفاتن جسدها، لا تتذكر شيئًا مما حدث الليلة الماضية، وجدت بجانبها ورقة، أمسكت بها وفتحتها، تفوح منها رائحة عطر رجالي قوي، نظرت للورقة باستعجاب:

"شكرًا على أحلى تجربة قضيتها في حياتي، انتي بجد حد غريب جدًا، رقمي هتلاقيه في ظهر الورقة، هستنى مكالمتك يا لوسين."

لم تستطع أن تبرح من مكانها، كل ما تفكر فيه هو كيف عرف اسمها الحقيقي؟!، ما مدى العلاقة التي حدثت بينهما، لم تستطع أن تتذكر شيئًا، جلست لعدة دقائق ثم نهضت، وجدت نفسها في غرفة فاخرة، لا لم تكن غرفة كان جناحًا، نظرَت بدهشة ثم جمعت أغراضها ورحلت.

في موقف السيارات جالسة لوسين وقد أنهكها التفكير، طردت كل الأفكار واستعدَت للعمل، كم تحب عملها وتتفانى فيه، حتى أكبر مدراء يتمنون أن يجمعهم عمل معها من شدة تفانيها ودقة عملها، دخلت مكتبها ووضعت حاسبها المحمول وقررت أن لا تفكر فيما حدث البارحة.

لوسين:

- حسن، ابعتلي قهوتي، والمرة دي خليها تقيلة أوي عشان مصدعة جدًا!

حسن:

- حاضر يا آنسة فاطمة حالًا.

جلست وبدأت عملها، لا شيء في الكون يستطيع تعطيلها عن عملها، حتى أفكارها ذهبت مع الرياح، فجأة ركضت مسرعة الى حمام، تقيأت حتى صارت معدتها خاوية، أمام المرآة:

- بجد يا لوسين انتي بتستهبلي، شربتي كتير امبارح وأم الرسالة الغامضة دي، وازاي عرف اسمك الحقيقي؟! بجد انتي غبية، انتي لازم تبطلي شرب عشان كده مش نافع، لو حد عرف ماضيكي مش هتخلصي من كلامهم هتضيعي كل اللي عملتيه دة عشان شوية (فودكا)، فوقي من اللي انتي فيه دة.

دائمًا تحدث نفسها أمام المرآة حتى ظن الجميع أنها فقدَت عقلها، ولهذا السبب تركَت بيت أبويها؛ لأنهم دائمًا ينتقدون أسلوبها وطريقتها، لكن لا أحد يعلم ما يدور في عقل تلك المدعوة (لوسين)، أنهت عملها مبكرًا و انطلقت لمنزلها الدافئ الخالي من ملامح الحياة.

صوت الموسيقى صاخب داخل حجرة نومها، يمكن أن تظن صوت الموسيقى مرتفع، لكن عقلها صوته أعلى من صوت الموسيقى.

لوسين:

- إيه سر الرسالة دي؟ ويقصد بإيه أحلى تجربة في حياته، دماغي هتنفجر.

صوت نغمة الهاتف تقطع تفكيرها، داليا تتحدث:

- يا زفتة انتي فين؟ مش كنا متفقين هنروح كافيه على النيل، وبعدين رامي جاي النهاردة!
- يا بنتي فيه موضوع كدة شاغلني شوية.
- ليه؟! إيه اللي حاصل معاكي؟
- مش نافع أحكيلك فون، نتقابل وهحكيلك، ومش لازم تجيبي العيال معانا عشان مش عاوزة حد يعرف.
- خلاص تمام، تعالي في مكان المعتاد بتاعنا.

****

في ذلك المقهى على ضفاف النيل، والقمر ساطع يعطي للأجواء ضوءً خفيفًا مريحًا للنفس.

داليا:

- فيه إيه قلقتيني؟ موضوع إيه اللي شاغل دماغك؟

لوسين:

- امسكي شوفي الورقة دي.

أمسكت داليا بالورقة، تفاجأت مما كُتب داخلها، رمقَت لوسين بنظرة تملأها قلق.

- إيه دة؟ عرف اسمك ازاي؟ إيه اللي حصل بينكم؟
- اهدي عشان أنا متوترة أصلًا، أنا مش فاكرة حاجة، بس ماحصلش بينا أي حاجة ماتقلقيش، بس مين دة؟ وازاي أنا مش فاكرة حاجة؟
- طيب إيه آخر حاجة فاكراها؟!
- كل اللي فاكراه إني قاعدة على الباروشربت كتير، مش فاكرة غيركدة.
- شوفي... هو كدة كدة مايعرفش رقمك أو عنوانك، لو كان يعرف ماكانش حط ليكي رقمه وقالك مستني مكالمتك، كبري مخك، تعالي ناكل أي حاجة.
- تمام، هناكل بسرعة وهمشي عشان عاوزة أرجع البيت، بكرة أجازتي وعاوزة أدلّع نفسي.
- peace.

تناولت لوسين طعامها ورحلت.

الشموع في جميع أنحاء الغرفة، ورائحة عطر أنثوي تفوح من كل مكان، صندوق مخبأ باحتراف في خزانة ملابسها.

تحسسَت الصندوق، وقلبها يخفق بشدة يكاد أن يخترق صدرها.

كم هي مؤلمة الذكريات، تخنقك حد الموت، لا تخضع الذكريات لعامل الزمان، من الممكن أن تسافر بك أغنية إلى قديم الأزل، تحلق بك في أعالي السماء، وتحطمك في لحظة، تبكينا أجملها، وتضحكنا أقساها، ما بالك أيتها الذكريات؟!

صندوق مليء بذكريات الطفولة البريئة، تفحصته بعناية، أطلقَت العنان لدموعها، انهمرت مثل المطر، صورة لها وهي طفلة، و ابتسامة نابعة من القلب، لم تعد تبتسم حتى أنها نسيت كيفية الابتسام، مشاعر كثيرة تجوبها، تأخذها من شاطئ إلى أعماق المحيط، تغوص في أعماق نفسها، تبحث عن حقيقة هذا الشعور، شعور بفراغ مقحم، أنها تشعر بأنها لا تشعر، معادلة مستحيل فهمها، لا هي تفهمها ولا أحد أيضًا.

نامت ودموعها تعانق وجنتيها، نامت ولم تشعر بشيء، مجرد فراغ ثم لا شيء.

****

نسيم الصباح يداعب خصلات شعرها، وضوء الشمس يؤذي عينيها المائلة للون العسل، تغلبت على شعورها بالتعب، ونهضت في كسل لكي تأخذ حمامًا ساخنًا.

غرفتها ذات اللون القاتم، وبواقي أعقاب السجائر في كل ركن، جلست وأشعلت سيجارة وهي تتأمل في ذلك الركن في غرفتها، فستان أبيض رقيق من السهل أن تلاحظ أنه فستان زفاف.

لوسين:

- كان مفروض ألبسك، وأدُور بيك قدام كل الناس، كان مفروض يشيلني قدام الخلق، مفروض كان يحضني ويبوسني في راسي، مفروض... هههههههههه يا نهار أسود عليا، بنت يا لوسين، فوقي وبلاش هبل، انتي نسيتي إنك (heartbreaker) ولا إيه، أحلام إيه اللي تأثر فيكي، يلا قومي انزلي اشربي قهوتك.

دائمًا تشجع نفسها في لحظات ضعفها، كم أنتِ ضعيفة يالوسين! تقاومين كل مشاعرك وتخفيها، لا أحد يعرف ما بداخلك، ما يدور في رأسك، لو فقط تبوحين بما داخلك؛ لتخلّصتِ من هذا العذاب القاتم.

داخل كل إنسان مشاعر لا يبوح بها لأحد، ليس لأنه خائف، بل لأنه يعلم جيدًا أن لا أحد سوف يتفهم مشاعره، لا أحد سوف يشعر بما يمر به، مجرد نصائح مكررة، أو أحكام بلا فهم، جميعنا يبدع في إطلاق الأحكام على غيرنا، لكن لا نعلم ما هي الحياة التي مر بها غيرنا، ما هي التجارب التي أنهكته واستهلكت طاقته، ما جعله فاقد الشهية للحياة حتى أصبح إنسانًا خاويًا المشاعر، مجرد جسد بلا روح، لو فقط ننظر بتمعن لفهمنا الكثير من الاشياء.

قهوة ساخنة لونها داكن، تشعر لوسين عند لمسها بدفءٍ في أناملها، مجرد رائحة القهوة تقلب مزاجها إلى أفضل حال، وكأن شيئًا لم يكن، رشفت من القهوة في استمتاع شديد، قهوة داكنة مثل قلبها.

بينما تحتسي قهوتها في تناغم ظهر شاب لا يمكن القول أنه ذات بنية قوية لكن عريض المنكبين، ذو ملامح حادة الطبع، من الأكيد أنه رجل شرقي بسبب سمرة بشرته وحاجبيه المتلاصقين بانسجام، وعينيه عسليتي اللون وجهته العريضة، وأنفه المرسوم بدقة الخالق، وتفاحة آدم البارزة تجعل من يراها يود أن يلتهمها، يرتدي قميص أبيض وربطة عنق بنفسجية اللون على بنطال أسود، وشعر مهذب بإتقان.

نظرت نظرة طويلة، وعندها وضعت له مدة أسبوعين وسوف يأتي يحبو خلفها، دائمًا تضع لكل رجل مدة معينة، وتختلف المدة على حسب نوع ذلك الرجل.

حسين:

- تحبي تشربي إيه تاني يا لوسين؟

لوسين:

- زي اللي بشربها بالظبط ، بس استنى، مين اللي قاعد هناك ده؟
- دة واحد بيجي من مدة أسبوع تقريبًا، بس بتسألي ليه؟! مش من عاداتك حد يلفت نظرك وكمان تسألي عليه!
- بسأل عادي يعني! أصل شكله مش غريب.
- ماتحاوليش! عشان هايدي حاولِت وفشلت.
- تقصد إيه يعني! مش فاهماك، بترمي لإيه يا حسين؟
- أقصد إن شكله مش بتاع الجو ده، هايدي قامت تتعرف عليه راح قال لها انتي تعرفيني عشان تكلميني؟ اتفضلي لو سمحتي.
- ولا يهمني، أنا كنت بسأل عادي.
- المهم مامتك تعبانة وأمي كانت عندها، شكلها تعبان أوي يا لوسين وبتسأل الناس كلها عليكي، ما تروحي تزوريها على الأقل.
- مش هروح هناك تاني أبدًا، انسى وماتفتحش معايا موضوعهم تاني، فاهم؟
- بجد حرام عليكي، عامةً براحتك.
- معلش يا حسين بس الموضوع منتهي، جبلي قهوتي.
- ماشي ثو اني.

لوسين محدثة نفسها: مش قادرة أسامحهم، مش قادرة أنسى.

وضعت كل هذه الأفكار خلفها، ونظرت لذلك الشاب بغموض، تفحصته جيدًا، وغيرت المدة.... شهرين!

ظلت تراقبه بصمت، لا يلتفت لشيء، كل تركيزه على حاسبه المحمول، يطلب قهوة وعندما ينتهي منها يأتي بغيرها، تعجبَت منه لوسين؛ فقد كانت تعطي له بعض الإشارات، لكن لم يلتفت لأي من تلك الإشارات، قررت أن ترحل، لكن لوسين ليست من ذلك النوع الذي يستسلم، وضعت عطرها ذو الرائحة الساحرة، حملت حاسبها وانطلقت مسرعة للخارج، من الأكيد أنه سوف يلتفت بسبب رائحة عطرها، وهذا هو المطلوب.

هي أرادت لكن القدر لم يُرِد، وهي تمر بجانبه سقطت حقيبة حاسبها، تمزق حامل الحقيبة، هرعت وتوترت، نظر لها وهو يعلم أن هي قد أسقطَت حقيبتها عن عمد، لكن عندما دقق النظر رأى أنها قد تمزقت بدون قصد، انحنى كي يلتقط الحقيبة وهو ينظر لعينيها ويقول:

- أنا معايا عربية برة وممكن أمشي من غير شنطتي، ممكن تاخدي شنطتي وابقي رجعيها أما تجيبي غيرها.

شعرت من نظرته بخوف، كأن نظراته تزلزل عرشها، أبعدت عينيها عنه للحظات، ثم أعادت النظر بكل قوة وتحدٍ:

- لا شكرًا، مش عاوزة حاجة.

اختطفت حقيبتها من يده، ذهبت مسرعة، والدم يعلو وجهها.

نظر لها وهي ترحل بغضب، لقد أراد فقط أن يساعدها، ولكن رفضت مساعدته بعنف وكبرياء، لم يعتد أن يعطي اهتمامًا لأحد، وعندما حاول بحسن نية تلقى صفعة قوية، من هذه لكي تصفعه، محدثًا نفسه:

- مين المجنونة دي؟!

لم يُعِر للأمر اهتمامًا، لكن بين الحين والآخر يتذكر.

لوسين:

- مين المجنون دة! ازاي يقوم يساعدني؟ هو فاكر إني محتاجة مساعدة من واحد زيه، هو أنا ناقصة حرقة دم، أقسم بالله هرجّع كرامتي تاني.

عندما يأتي الأمر لكرامة لوسين فلا تَراجُع، أحسّت بغضب شديد يخترقها، إنها لم تخطط لذلك، تحب كل شيء بانتظام وقوانين، نعم قوانينها هي، كل شيء يسير على خطتها، تكره الخيانة جدًا، وخانها القدر هذه المرة.

.....

- Humidity is rising
Barometer's getting low
According to our sources
The street's the place to go
Cause tonight for the first time'
Just about half past ten
For the first time in history
It's gonna start raining men
It's raining men
Hallelujah

It's raining men

Amen

I'm gonna go out

I'm gonna let myself get

Absolutely soaking wet

It's raining men

Hallelujah

It's raining men

Every specimen

dark and lean ،blonde ،Tall

Rough and tough and strong and mean

God bless Mother Nature

She's a single woman too

She took over heaven

And she did what she had to do

الجميع يرقص على أنغام هذه الموسيقى، جميعهم مخمورون، فقط يستمتعون بهذه اللحظة، مع أنها مجرد متعة لحظية ليست أكثر، كلنا مثلهم نستمتع بأشياء ليست حقيقية، أشياء تملأ الفراغ بداخلنا، تجعلنا نشعر بشيء من الراحة، نظن بهذه الطريقة سنطفئ تلك النار التي أتعبتنا مرارًا، لكنها مجرد طرق يخدعك بها عقلك؛ لكي يكبت حقيقة مشاعرك التي لا تستطيع البوح بها لأحد.

يجلس عند البار العديد من السكارى، ومن ضمنهم لوسين ليسَت في حالة سكر شديد، لكن نوعًا ما مخمورة، جاء شاب وجلس بجانبها ونظر لها والابتسامة تملأ وجهه.

الشاب:

- ممكن أعزمك على كاس؟

رفعت عينيها في إرهاق ونظرت له، شاب طويل، جسده متناسق، عيناه تلمع بقوة وما يبرزها هو لونها الأخضر، ملامح تملأها قوة، وذقنه المنتظمة التي تظهر جمال ملامحه، أنفه محددة، وحواجب عريضة وحادة، رجل يعطي انطباعًا بالقوة والثبات، يضع عطرًا يمكن لأنفها التعرف عليه!

لوسين:

- انت مين؟
- مش فاكر اني يا لوسين ولا إيه؟ أنا فهد.

لم تستطع الحديث، وعينيها ترتعش، والعديد من الأفكار والتساؤلات تجوب خاطرها.

- انتي كويسة؟

أجابته بكل قوة وصرامة:

- وهو أنا هعرفك منين يا كائن انت؟
- لسة زي ما انتي بتردي بعصبية وتناكة، وبعدين انتي بجد مش فاكر اني؟!
- هفتكرك بمناسبة إيه، هو أنا أعرفك أولاني عشان أفتكرك؟

- أه، انتي في اليوم دة كنتي شاربة كتير، ليكي حق ماتفتكريش، بس أنا سيبتلك رسالة وفيها رقمي، وفضلت مستنيكي تتصلي ولا عبرتيني حتى، وبقيت آجي كل يوم هنا عشان أقابلك تاني، وقابلتك أهو يا لوسيييييين.
- من النهاية عاوز إيه مني؟

أجابها بكل صدق وصراحة:

- عاوز أساعدك، عاوز أخرجك من اللي انتي فيه، ماأظنش فعلًا إنك فاكرة حاجة، بس انتي خلتيني أشوف فيكي جزء ماأعتقدش إن حد شافه قبل كدة.

تحجرت في كرسيها، ولم تعد فقط العديد من التساؤلات، صارَت الملايين منها، حاولت أن تنطق بأي كلمة، لكن لسانها عجز عن النطق.

فهد:

- أنا عارف إنك بتفكري في حجات كتير، بس اطّمِني، لو عاوزة أقولك انتي قولتي إيه هقولك، ولو مش عاوزة مش هقول، بس في الحالتين عاوزك تعرفي إني متأكد من إنك مكسورة جامد ومش بتثقي في حد، ومش بقولك ثقي فيّا، عارف إنك نفسِك تتغيري بس خايفة، خايفة تتكسري تاني، خايفة تقربي، خايفة حد يشوفك من جوّا، لابسة وش حجر، أما تحسّي إنك هتقعي بتهربي، بتكسري قبل ما تتكسري، عاملة إنك واثقة في نفسك بس انتي أكتر حد شاكك في نفسه، شاكّة في قرارتك وحياتك، بترسمي إنك قوية وجبروت، وانتي من جوة هشّة جدًا، انتي حد محتاج مساعدة، وأنا حابب أساعدك، القرار ليكي،

بس أنا فعلًا عاوز أساعدك، لو عاوزة إني أقوم أمشي هقوم ومش هتشوفي خلقتي تاني أبدًا.

صمتت، لم تدري ماذا تقول، أول مرة يقرأها أحد، كأنها قد خلعَت ثوب الكبرياء وصارت عارية أمامه، ووجه الحجر رأته ينهار أمامها، نظرت للأرض بحزن، صمتت كأنها لم تتعلم الكلام من قبل.

فهد:

- أنا أسف، معلش أنا همشي.

الْتفّ ومضى في طريقه دون أن ينظر خلفه، تاركها خلفه وهي مذهولة وحزينة، الأفكار تصارعها، هل تخلع ثوبها بإرادتها أم تحتفظ بكبريائها، كلماته أطاحت بها، مازالت تصارعها الأفكار، الوقت يمر بسرعة، هل تركض خلفه، أم تتركه يرحل بسلام، ركضت خلفه وأمسكت معطفه بضعف و انكسار:

- ساعدني.

"الاعتراف بالضعف والاحتياج هي أول طريق التعافي... تعافي الروح"

عادت إلى منزلها بعد ليلة طويلة من الكلام، تتذكر كل كلمة رغم أنها مخمورة نوعًا ما، جلست على سريرها وأشعلت سيجارة، شربتها بشراهة، كأنها مدمن محروم وقد حصل على حصته من المخدر، نفثت الدخان بروية؛ لكي يبقى أكبر مدة بداخلها.

نطق الشاب فهد:

- أنا ماأقدرش أساعدك غير لو انتي عاوز اني فعلًا أساعدك.
- مش فاهمة؟
- يعني أنا ماأقدرش أغيرك غير لو دة نابع من قلبك، بمعنى أبسط انتي شايفة إنك غلط ولا صح، شايفة طريقتك وأسلوبك ومنهجك في الحياة صح ولا لا؟
- جزء كبير جدًا من حياتي صح وأسلوبي ومنهجي في الحياة يعتبر كويس جدًا.
- خلاص يبقى انتي مش محتاجة مساعدتي، ماأعطلكيش بقى، سلام.
- خلاص فهمت، آه حياتي غلط، بس مش كلها.
- لوسين، الاعتراف بالضعف ده شيء مهم جدًا عشان تعرفي تتغيري، بس طول ما انتي بتقاومي ومش بتقولي الصدق عمرك ما هتتغيري، أو هتتغيري للأسوء عشان هتحسي إنك منافقة ولبستي وش زيادة، وانتي بشخصيتك دي انتي عندك مليون وش، وكل وش عندك له وقته واستايله، احنا مش عاوزين نزودهم، احنا عاوزين نقربهم من

بعض عشان يبقى بينهم ألفة ويبقى عندك سلام داخلي مع نفسك، عشان تعرفي تلاقي لوسين الحقيقية مش اللي عندها مليون وش، لوسين اللي انتي عذبتيها وبعد أما خلصتي دفنتيها، دفنتيها في أعمق حتة في روحك وقافلة عليها، ولما بتحسي إنها هتخرج بتجري منها، بتدوري على أي حاجة تغطي الوجع اللي جواكي، مع إنك عارفة إنه مؤقت، أكمل كلام ولا أسكت؟

أجابته لوسين وهي منهكة من كلماته:

- أنا فايقة وعارفة انت بتقول إيه، بس دماغي مش مستوعبة، كمّل كلامك، بس ماتطلبش مني إني أرد! ممكن؟
- طيب يا لوسين مش هطلب إنك تردي بس اسمعيني، اسمعيني كويس أوي وركزي في كل كلمة بقولها.

لوسين:

- حاضر، هركز على قد ما أقدر.
- شوفي يا لوسين، في علم النفس بيقولوا العلماء...

قاطعته لوسين:

- لا ماتكلمنيش في علم النفس، قولّي بطريقة سهلة عشان أفهم.
- ماشي يا ستي هقولها بطريقة سهلة، انتي بتهربي، مش بتهربي من الناس انتي بتهربي من نفسك، أفهّمك أكتر، انتي حاسة إنك موجوعة من جوّة، ومش قادرة تستحملي، فبتهربي من وجعك بالناس أو بحاجة بتحبيها أيًا كانت غلط أو صح، بتهربي بأي حاجة ماتخلكيش تفكري في وجعك، يعني بتعملي عوامل خارجية عشان ماتحسيش بالداخلية،

دي أول نقطة وطبعًا أنا بقولهالك باختصار جدًا، تاني نقطة عارفة انتي ليه (heartbreaker) زي ما بتقولي، لأنك جعانة، عندك جوع عاطفي فأي حد بيقرب منك بتاخدي العاطفة اللي انتي عاوزاها وبعد كدة بتسبيه عشان بتكوني مُلِئتي شوية من الجوع، وبتدوري على غيره عشان يملي جزء تاني من الجوع، وبتستمري على هذا النحو، وانتي بتقربي من نوع معين من الرجالة عشان تثبتي إنك تقدري تخلي أي راجل يقع فيكي، وبتتحدي نفسك كأنك في سباق ولازم تفوزي السباق، بتعملي كدة عشان تحسي إنك مرغوب فيكي وتحسي بفخر إنك وقعتي اللي أي بنت ماتقدرش توقعه، عشان تحسي إنك قوية أن انتي المسيطر، وإنك مش محتاجة حد، وإن انتي كفاية لنفسك ولوحدك تقدري تكوني سعيدة، بتعملي كدة عشان توضحي إن شخصيتك فريدة من نوعها، عشان اللي يشرب منك يعيش طول عمره سكران فيكي، انتي مفيش فيكي ريحة الثقة في نفسك، انتي ضعيفة يا لوسين، انتي تايهة وبتحاولي تظهري العكس، تحبي أكمل ولا كفاية؟

لوسين:

- انت قلت كلام كتير مهم، كلام حقيقي حلو بس أنا عاوزة نتكلم في وقت أكون أنا فيه فايقة.
- إيه انتي بتفكري توقعيني فيكي، فعاوزة إننا نقعد في يوم تاني عشان تركزي ازاي هتوقعيني؟!
- لا يا فهد، أنا فعلًا عاوزاك تساعدني، أنا فعلًا تعبت من كل حاجة، هل أنا صح ولا غلط، مش فاهمة حاجة، أنا ضايعة يا فهد، بجد أنا

نفسي أتغير بس مش بعرف، برجع زي زمان ويمكن أوسخ كمان، فهد.....

وضع يده على شفتيها؛ ليمنعها من تكملة حديثها، وقال:

- لوسين، أنا عارف كل دة، اطمني أنا هساعدك ومش هسيبك غير أما تعرفي حقيقة لوسين الكويسة النضيفة من جوة اللي بتعرف تحب، صدقيني.

أفاقت من تفكيرها بسبب حرارة السجارة بين أصابعها، أطفأتها وذهبَت في نوم عميق، نامت ونام معها ألمها الدفين.

****

في العمل منهكة لوسين تعمل بكل جد ونشاط لم تعتده من فترة، تعمل وهي سعيدة بظهور فهد في حياتها، تفكر بأن من الممكن أن يكون هو الشخص الذي سوف يحررها من كل تلك الهواجس، يوقظ روحها التي دفنتها منذ زمن، يجعلها إنسانة تشعر، قطع حبل أفكاراها دخول حسن:

- المدير عاوزك يا أستاذة.
- ماقالّكش عاوزني ليه؟ أنا مشغولة أوي، فيه حاجة مهمة ولا إيه؟
- والله ماقالّيش يا أستاذة فاطمة.
- طيب هخلّص اللي في إيدي وجاية حالًا، محدثه نفسها سرًا: يا ترى عاوز إيه؟ مش عادته يطلبني.

دخلت مكتب المدير:

- السلام عليكم يا مستر، حضرتك بعتّ حسن يناديني، خير؟

مستر رأفت:

- مبروك يا لوسين؛ جالك لقاء مع حد كبير في الدولة، بس المرة دي مفيش استرجال، الكلام النص مكتوب ومتحدد.

لوسين:

- رأفت، انت عارف أسلوبي مش بقبل بحاجة متحددة، انت عارف إني بحب المواجهة.

رأفت:

- معلش يا لوسين انتي مطلوبة بالاسم، وحاولت أتهرب ماعرفتش.

لوسين:

- رأفت، مش هعمل اللقاء غير أما أشوف النص الأول.
- النص هيعجبك صدقيني.
- ماشي يا رأفت، بس دي آخر مرة تدبسني كده.
- ماشي يا لوسين.

ذهبت وهي حانقة عليه، لكن هذا لن يعكر صفو مزاجها، فاليوم هو أول جلسات علاجها مع فهد، تريد أن تكون في كامل وعيها؛ لكي لا تفقد أي

جزئية من الحديث، كما حدث البارحة، تحمل طاقة كبيرة داخلها، حرك فهد بداخلها قوة، لكن هذه القوة حقيقية ليست التي تزعمها أمام الناس.

القوة بداخل كل إنسان، هناك من يستطيع أن يتعامل معها بكل سلاسة دون أن يبذل الكثير من الجهد، وهناك بعض الناس يملكون قوة حقيقية، لكن يضيع جوهرها بسبب عدم إمكانيتهم في التحكم بها، كلنا نملك قوة معينة، لكن هل كلنا نستطيع إخراجها في الوقت المناسب، أم تضيع قوتنا لعدم إدراكنا ما مدى قوة قوتنا؟

إن القوة نعمة، وأيضًا نقمة، من الممكن أن تعلو بك قوتك إلى أعلى المراتب، ويمكنها أيضًا أن تدمرك وتوصلك إلى قاع يهوي بك، أنت المسؤول، أنت من يحدد إذًا نجاحك أو فشلك.

****

جلست لوسين أمام فهد وهي تحاول أن تخفي سعادتها بوجود صديق يمكنه فهمها دون أن تنطق، تحاول أن تردع الابتسامة لكن دون جدوى.

فهد وهو ينظر بخبث لها:

- مالك فيه إيه؟
- مفيش، مالي يعني!
- أصل ابتسامتك مش طبيعية!
- لا عادي، أنا ببتسم مع أي حد كدة، بالذات لو حد مش ناوية أوقعه.
- ليه يعني لو مع حد مش هتوقعيه؟
- أقصد إني مش ناوية أوقعك.

- فاهم، بس انتي فهمتي السؤال غلط، أنا أقصد ليه مش بتضحكي بطبيعتك مع حد ناوية توقعيه؟ بمعنى تاني انتي ليه مش بتتصرفي بطبيعتك مع اللي هيقع؟
- عشان كل نوع راجل بيحب حاجة معينة في البنت، وأنا بظهر اللي الراجل عاوزه عشان يقع، وبعد كده برميه في أقرب زبالة، لأن كل الرجالة بتجري ورا حاجة نقصاهم؛ لأنهم مش كاملين زي ما بيقولوا وبيظهروا.
- هههههههه ضحكتيني يا لوسي.
- شوفت؟ أهو بتضحك عشان شايف نفسك كامل، صح؟
- لا أنا مش كامل، بس بضحك على نظرتك للرجالة، ليه بتكرههم كدة؟
- عادي، أنا مش بكره الرجالة، بس برضه مش بحبهم.
- لوسين، لو عاوز اني أساعدك أرجوكي كوني صريحة معايا.
- اعذرني يا فهد، بس أنا مش بعرف أكون صريحة خصوصًا مع راجل.
- أيوَن هو دة، ليه خصوصًا مع الرجالة؟
- عشان مش عاوزة حد يعرفني من جوة، مش عاوزة حد يشوف ضعفي، مش عاوزة حد يعرف مفاتيحي، معرفش يا فهد... صدقني معرفش!
- طيب ممكن تكلميني عن حياتك و انتي طفلة.
- كنت طفلة عادية، زي أي طفلة.
- لا كلميني بعمق أكتر، احكي تفاصيل أكتر، ممكن؟

- كنت طفلة عايشة في بيت معايا ماما وبابا واخواتي، حياتي كانت مستقرة نوعًا ما، مادية أهلي كانت مش كويسة أوي، اللي بيخش على قد اللي بيروح، وساعات ممكن يستلفوا عشان المصاريف زادت، كنا ٣ بنات وولد، وطبعًا لك أن تتخيل أن الولد هو اللي واخد كل الاهتمام؛ لأنه اللي هيشيل اسم أبويا وهو الراجل، وطبعًا الأسد لازم شبله يبقى زيه، عمري ما حسيت إن عندي أب ولا حتى أخ، بابا دايمًا في الشغل عشان يجيب لينا فلوس، وأخويا في عالم تاني كل اللي هامّه نفسه، أمي كانت أقرب واحدة ليا، بس برضه بتدافع عن بابا وأخويا، يمكن هي الوحيدة اللي بحبها، نفسي أشوفها، بس لو قابلتها خايفة ترجعني البيت غصب، أنا مش عاوزة أرجع للراجل دة، مش عاوزة أرجع لنفس القوانين ونفس الأسلوب ونفس الدماغ ونفس التحكمات، فهد، أنا طِير جارح مستحيل يتقيد أو يخضع، أنا سكِتّ كتير على حقي ودوست على نفسي كتير، مش مستعدة أخضع تاني، فلو انت هتساعدني أتغير، ماتخلنش أغير حتة إني مش بخضع.
- أنا مش هغيرك، انتي اللي هتتغيري، انتي اللي هتقرري مش أنا، انتي هتشوفي إيه اللي هيناسبك واعمليه، مش يمكن تقرري تخضعي وبمزاجك كمان.
- ممكن سؤال بصراحة؟
- اتفضلي!
- انت شايفني إيه بجد؟
- شايف واحدة لسة عايشة في مرحلة الطفولة، وعايشة في مرحلة نضج، بس مش عارفة تتحكم، دي بتظهر شوية والتانية بتظهر شوية، مفيش توازن بينهم، كلنا بنملك الطفولة جوّانا، وبرضه بنملك

النضج، الطفولة بتظهر في الحب ووقت الحزن، دي أكتر الأوقات اللي بتظهر فيه الطفولة وبقوة، عشان مشاعرنا هي اللي بتكون متحكمة فينا، عارفة المشاعر عاملة زي البركان بيفضل خامد لحد ما يحصل حاجه في تفاعلات الارض وينفجر، بينفجر من غير توقف، بيفضي كل اللي جوّاه ويرجع خامد تاني، رغم إنه بيؤدي إلى كوارث، بس أما بهدى بيظهر قد إيه هو حلو ومليان كنوز وخير، انتي يا لوسين بركان خامد، وعمالة تغذيه، بس أما يقرب ينفجر بتدوري على أي حاجه تهديكي، انتي بتخبي مشاعرك مش بس من الناس، بتخبيها من نفسك، انتي مش راضية تواجهي نفسك، انتي خايفة من حاجة، خايفة من إيه يا لوسين.

همت أن تجيب لكن قاطعها:

- استني أما أخلص كلام وردي، النضج بقى يا سيدة الظلام بيظهر في الحياة العملية، لأن الحياة العملية خالية من المشاعر، حياة ناشفة، بيسيطر على الحياة العملية العقل، طبعًا في مواقف بتحتاج تعاطف، زي شغلك مثلًا، لو حصل لحد حالة وفاة بتعزوا بعض، مش أكتر من كدة، انتي مش عارفة تعملي توازن بين الاتنين بين نضجك وطفولتك، دة يتحكم شوية والتاني يتحكم شوية، اللي أنا شايفُه إن انتي شخصية مميزة جدًا، ما شوفتش شخصية زيّك، ليكي حضور بارز حتى لو مش قصدك بيظهر، انتي شخصية قوية، بس مش عارفة تستغلي قوتك صح.

-

قاطعته لوسين بضحكه صادقة:

- سيدة الظلام؟! ليه يعني سيدة الظلام؟!
- عشان انتي بتظهري كدة، وكنت عاوز أضحك؛ لأن حسيت إنك واخدة الكلام على نفسك قوي.
- إزاي عرفت إني كنت هضحك؟ وبعدين انت ماقُلتليش انت بتشتغل إيه؟
- عرفت إنك هتضحكي عشان أنا عارف دماغك، و أنا دكتور.
- دكتور إيه؟

تلعثم في البداية واستدرك الموقف:

- دكتور باطنة.
- بس إزاي دكتور باطنة شاطركده؟
- عشان أنا بحب علم النفس، بقرأ فيه كتير.
- انت قولت حاجات كتير، ممكن يكون عندك حق في معظمها، بس ممكن تفهمني أكثر؟
- انتي قوليلي النقطة اللي عاوزة تفهميها و أنا هفهّمهالِك.
- أنا ليه كدة، يعني ليه أنا ضعيفة وبحب أظهر إني قوية؟
- تحبي أتكلم بعلم النفس بحت، ولا بطريقة عامية؟
- عامية عشان أفهم.
- انتي عاملة زي سمكة البالون، اللي بيحاول يلمسك بتنفخي نفسك وتطلعي شوكك، عشان أما يلمسك يتشوك، دة تشبيه بسيط، انتي عارفة إن بعد كام يوم هتكرهيني!

- ليه يعني؟
- عشان هكون عارف أسلوبك وطريقتك وبتفكري في إيه، المختصر المفيد هتكوني عريانة قدامي.
- احتمال وارد، بس ممكن أحبك أكتر.
- ماتخافيش من موضوع تحبيني، لأني كدة كدة مش ناوي أحبك، ولو حصلت وحبيتك عمري ما هقولك، عشان مش عاوز أخسرك.
- تمام أوي.

فهد: معلش يا لوسين، أنا لازم أمشي عشان عندي معاد مهم.

- طيب، كدة كدة أنا لازم أمشي أنا كمان.
- شوفتي!
- شوفت إيه؟
- بتنفُخي نفسك وبتظهري شوكك، لوسين، خليكي بطبيعتك، دي مهمتك.
- هههههههه هو الواحد مابيعرفش يسد قُدّامك.

فهد وهو ينظر بقوة:

- طبعًا.
- هنتقابل تاني امتى؟
- في أقرب فرصة صدقيني.
- طيب، هستنى مكالمتك.

- مع السلامة يا سيدة الظلام.

لوسين وهي تبتسم ابتسامة صادقة:

- مع السلامة يا فهد.

ودعته بكل صدق، وهي تنتظر مكالمته؛ لكي يحرر روحها.

ارتمت على الوسادة، تكاد أن تجزم بأنها ماتت، رغم أنها مرهقة لكن هي في قمة سعادتها، فقد أطاحت بضيف حلقتها اليوم، و أيضًا أخذت أيام راحة في المنزل، كم هو مريح أن تظل في منزلك بدون عمل، جلست على سريرها وأشعلت سيجارة، تفكر في نجاحها في مقابلة أكبر رجال الأعمال، وتفكر أيضًا في مقابلتها مع فهد غدًا، أطفأت السيجارة واستعدت للنوم.

أيقظها من النوم اتصال فهد، أجابت بنعاس:

- هي الساعة كام؟
- الساعة تمانية، أنا آسف والله مش هعرف آجي النهاردة، طرأ في الشغل حاجة مهمة ولازم أروح، أوعدك بكرة هنتقابل.
- يعني انت مصحيني عشان تقول كده، ياعم روح في داهية تاخدك.
- تصدقي كنت فاكرِك هتزعلي.
- لا مش بزعل منك، ممكن تسيبني أكمل نوم؟
- طيب روحي نامي وهنتقابل بكرة.
- ماشي، سلام
- مع السلامة.

قبل أن يكمل حديثه أغلقت الهاتف، وعادت محاولة أن تنام، لكنها لم تستطع النوم، ذهبت لكي تستعد للخروج، اشتاقت لقهوة حسين، رغم أن حسين مالك القهوة لكن هو من يصنعها بنفسه لها، طعم قهوته مميزة مثله، حسين هو صديق طفولتها، وهي من ساعدته ليفتتح أول محل قهوة له؛ لأنه دائمًا مخلص لها.

وصلت إلى الكافيه وهي غاضبة من فهد؛ لأنه لم يأتي في موعده، لكن قالت إلى نفسها أنه مرغم على ذلك، طلبَت من حسين قهوتها لكي تستمع بيومها.

- حسين، قهوتي اللي بحبها لو مش هتعبك معايا.
- طيب، هخلص بس حاجة وهعملهالك بإيدي.

نغمة رسالة: "أنا بجد آسف يا لوسين إني ماقدرتش أقابلك النهاردة، بس درسي ليكي النهاردة هو اتصرفي بطبيعتك مع كل الناس، هتحسي براحة، خدي بالك من نفسك وهنتقابل قريب، مع السلامة يا سيدة الظلام."

سعدَت لرسالة فهد وقررت أن تنفذ درسه في هذا اليوم، تحب أسلوبه في التعامل، يذكرها بفارس أحلامها وهي صغيرة، لكن الآن لا تحلم ولا تتخيل، أحلامها أن تفهم ذاتها، وأن تصبح مثل فهد؛ شخصية مستقرة ومتوازنة.

- قهوتك يا بنت بلدي.
- ضحكتني يخرب بيتك.
- شكلِك رايقة جدًا النهاردة.
- آه رايقة جدًا، وبعد أما أشرب قهوتك هبقى أحسن.
- أنا عاوز أقعد أحكيلك كام حوار، بس عندي جَرد لازم أخلصه.

- هستناك أما تخلص.

رشفت من القهوة حتى أحست بحرارتها في شفتيها، تذكرت حرارة قلبها يوم تركها خلفه، تركها وحيدة، ضعيفة ومكسورة، تريد العودة بالزمن ليس لتعود له، بل لكي تعود طفلة بريئة، لا تكره أحد، طفلة تعرف كيف تبتسم، طفلة صادقة في مشاعرها.

دخل ذلك الشاب وجلس في مكانه المعتاد، أمامها مباشرة، نظرت له باستغراب، يبدو هزيلًا، كقمر فقد شمسه وأصبح بدون ملامح، مجرد ضوء خافت لا يلفت نظر الآخرين، ظلّت تراقبه بصمت إلى أن شعر بعينيها تمر عليه، يبدو عليه الإرهاق لكن ليس إرهاقًا طبيعيًا؛ يبدو مريضًا، وجهه ناصع البياض، ويتصبب عرقًا، كأنه سوف يفقد توازنه في أي لحظه.

لوسين:

- حسين، هو ماله اللي هناك دة؟
- معرفش، بس شكله تعبان!
- طيب هو طلب إيه؟
- ماطلبش غير مياه وخد بيها دوا.
- طيب.
- ناديني لو عاوزة حاجة.

ذهب حسين ليواصل عمله، مازالت تراقبه بصمت إلى أن قررت أن تستجمع شجاعتها وتذهب إليه.

- لو سمحت انت كويس؟

الشاب:

- انتي مالك بيّا!

أزاح نظره عنها، أمسكت برأسه وجدته باردًا كلوح ثلج، ولكن رغم برودته يتصبب عرقًا، دفع يديها بعيدًا:

- انتي مجنونة؟ ابعدي عني.

لوسين:

- انت لازم تروح المستشفى حالًا، حسين، امسك اللاب بتاعه وبتاعي هاخذه على مستشفى.

حسين:

- طيب بسرعة.

الشاب:

- قلتِلك ابعدي عني!
- لا مش هبعد، وهتيجي معايا.

أمسكت بيده بقوة، سحبته معها وهو لا يستطيع المقاومة، جسده ضعيف، لقد غابت الشمس عنه، استسلم لها.

- انت ساقع أوي، انت كويس؟

الشاب:

- أنا كويس.....

لم ينهي حديثه حتى فقد توازنه، أمسكت به بقوة رغم جسده الهزيل، لكن كان ثقيلًا لدرجة متعبة، وضعته على كرسي السيارة، ركضت تركب؛ لكي تذهب إلى أقرب مشفى، قادت سيارتها بسرعة جنونية، تكاد تصادم سيارات أخرى، وذلك الشاب مرمي بجانبها، لا يتحدث لا يتحرك، مما أدى إلى خوفها أكثر، أفكار كثيرة بعقلها، ما اسم هذا الشاب، أخذت محفظته من بنطاله، فتحتها أخرجت بطاقته الشخصية، اسمه (مصعب)، اسم غامض مثله، كادت أن تصدم سيارة، تداركت الموقف بسرعة، رمت المحفظة وصبت تركيزها في الطريق، لا تريد خسارة ذلك الشاب ولا تدري لماذا، وصلت للمشفى، ركضت وأحضرت الطوارئ، نقلوه إلى غرفة مسرعين؛ ليتخذوا الإجراءات اللازمة.

الطبيب:

- ممكن تقوليلي إيه الي حصل بالظبط؟
- معرفش، هو أغمي عليه من ربع ساعة.
- تمام، أنا هشوف وهطمِّن حضرتك.

انتظرت لوسين وقلبها يخفق من الخوف على هذا الشاب، لا تدري ما دفعها لكي تساعده، إحساس غريب يجوب خاطرها، مثل صحراء قاحلة شاء الرب أن تمطر لكي تزدهر وتصبح بستانًا يملأه نبات، لا تدري هوية هذا الشعور، خوف وقلق، كل ما تدركه أنها خائفة عليه، و أيضا خائفة منه، خرج الطبيب، ركضت مسرعة.

- دكتور، طمني؟

- هو شكله مش واخد جرعة (الأنسولين) بقاله كام يوم، عملنا اللازم ماتقلقيش، هنسيبه تحت الرعاية عشان نطّمن عليه أكتر، ممكن حضرتك تيجي تملي معانا الأوراق؛ لأن احتمال يفضل كام يوم.
- حاضر حالًا.

ملأت الاوراق وهي مذهولة، شاب في هذا السن ويعاني من مرض السكر.

- ممكن أخش أطّمّن عليه؟
- أكيد بس هو نايم، لو عاوزة استني أما يصحَى.
- أصل أنا لازم أمشي حالًا، هطّمن عليه وهمشي.
- طيب، اتفضلي حضرتك.

همت بالدخول وعقلها يأمرها بالهروب، لكن قلبها انتصر، لا مجال للعودة الآن، فتحت الباب ودقات قلبها تتعالى، ضمت يديها إلى صدرها؛ لكي تجعل ذلك القلب أن يصمت، رأته نائمًا في سبات، خفق قلبها خوفًا عليه، لا تدري لماذا يعتصر قلبها، هل تختفي الآن، أغلقت الباب ورحلت مسرعة، ذهبت وصوت قلبها يفوق صوت عقلها، قلبها ينبض كمقطوعة موسيقية، لا تدري ماذا حل بها، يجوبها مشاعر غريبة، همت بالاتصال على (فهد) لكن تذكرت بأنه مشغول، ذهبت مسرعة للكافيه.

حسين:

- ماله الواد ده! طلع عنده إيه؟

أجابت وقلبها يعتصر:

- عنده السكر.
- فيكي إيه؟ انتي كويسة!

أخذت نفسًا عميقًا:

- أنا كويسة، اللاب بتاعه عندَك، أما يجي خليه ياخد اللاب وماتقولش حاجة عني.
- فيه إيه فهميني؟
- حسين، أرجوك ماتسألش، خليه ياخد اللاب وخلاص وماتقولش حاجة عني، فاهم؟
- طيب، روحي بيتك عشان شكلك تعبان.

ذهبت بدون أن تجيبه، وهي في صراع بين قلبها وعقلها.

****

عندما يصبح منزلك مكانًا للمبيت فقط، عندها يجب أن تعرف أنك إنسان تعيس، وعندما يصبح منزلك مكانًا للاختباء فتأكد أنك أصبحت حقًا تعيسًا، المنزل هو الدفء، هو المكان الذي تشعر فيه بالأمان، هو مملكتك الخاصة التي تسري عليها قوانينك، المنزل هو المأوى، هو الحماية من تدخلات البشر، تفعل ما تريد داخله وتعلم جدًا أن لا أحد يستطيع أن يحكم عليك ما دُمتَ داخل مأواك، المنزل مكان الأمان أيًا كان هو، حديقه، غرفة، سطح مهجور، مطعم قديم، أو حضن أحدهم.

ركنت سيارتها بهدوء، جلست بداخلها لبضع دقائق تتخيل منظره وهو بجانبها وهو على حافة الموت، طردت أفكارها وأغلقت سيارتها.

دخلت منزلها وهي صامتة، مذهولة من تصرفها بجرأة، لم تخطط لذلك، قوة غريبة دفعتها لفعل ذلك، لم تحاول أن تقاوم، فقط جعلتها تتوغل فيها وتحتلها، مثل قلعة محصنة دخل جيش العدو فيها، وسقط الحاكم.

عندما تدفعنا قوة خفية لفعل شيء لسنا معتادين على فعله يحدث صدمة للعقل؛ لأنك تقوم بنزع وجه قد وضعته وقررت عدم التخلي عنه، وجه قد يكون تشكل بسبب جرح قديم أو موقف مؤثر، أو تجربة صعبة، كلنا نضع وجوهًا؛ لكي تخفي حقيقة ما بداخلنا، نخفي ما بداخلنا؛ لأننا نعلم جيدًا أنه لو خرج لن يتفهم أحد، لا أحد سوف يشعر، فنبقيه داخلنا دفينًا.

بعثت رسالة لفهد: "فهد أما تكون فاضي كلمني، مش لازم نتقابل بس كلمني حتى لو صوت، محتاجاك يا فهد."

لم تسطتع مقاومة أفكارها ومشاعرها، ارتمَت على سريرها، احتضنت فخذيها، منتظرة فهد بفارغ الصبر، غفت وهي منتظرة.

****

ضوء الهاتف يؤذي عينها، أجابت من دون أن ترى من المتصل:

- أيون
- انتي كويسة؟
- فهد!

- فيه إيه يا لوسين، أنا أخدت بِريك من الشغل عشان أكلمك، اتصلت بيكي كتير، فيه إيه؟
- أنا سمعت كلامك و اتصرفت بطبيعتي، بس حتى طبيعتي غريبة، فهد، أنا مش فاهمة حاجة، ليه قلبي واجعني عليه؟!
- على مين؟
- على (مصعب)، قلبي واجعني عليه وقلقانة عليه جدًا...

فهد مقاطعًا حديثها:

- فهميني براحة من البداية.
- هو كان واحد أنا مقررة إني هوقعه عشان أرضي غروري، بعد كدة قابلتك و انت فهمتني فخلاص رميت الموضوع من دماغي، وقررت إني أتغير، شوفته في الكافيه، كان شكله تعبان وبيموت أخذته على المستشفى غصب، طلع عنده السكر يا فهد، دة لسة شاب صغير، قلبي واجعني أمّا شوفته نايم على سرير، فهد، هو أنا فيّا إيه؟
- أنا هستأذن من الشغل وهجيلك، هبعتلك مكان روحي هناك هتلاقيني.
- لا يا فهد، انت وراك شغل..

قاطعها وهو محتد:

- لوسين، هبعتلك لوكيشن مكان روحي دلوقتي وهتلاقيني! سامعة؟
- طيب هلبس و أنزل.

وضعت بعض الملابس عليها، لم تعبأ ما هي الألوان أو كيف تبدو، عقلها مليء بالأفكار لدرجة أنها لم تلاحظ أنها لا ترتدي سترة لتقيها من برد الليل.

****

وصلت تحديدًا للموقع الذي بعثه لها (فهد)، نظرت حولها وعيناها مرهقة، وجدته جالسًا على الأرض، ذهبت إليه مسرعة:

- انت قاعد على الأرض ليه؟!

أجابها وهو مبتسم ابتسامة تدل على الراحة:

- عشان بحب الأرض، تعالي اقعدي انتي كمان.
- هدومي هتتوسخ، وبعدين الجو برد.
- إيه دة! انتي مش لابسة جاكيت ليه؟
- معرفش، تقريبًا نسيت.

نهض فهد وأعطى لها سترته دون أن ينطق بحرف، جلس مرة أخرى وقال:

- يلا اقعدي معايا على الأرض.
- إيه الجو الرومانسي دة! جاكيت بقى وكده.
- يانهارك أسود، يخربّيت الاضطراب اللي عندك.

نظرت له وهي متعجبة من كلماته:
اضطراب ايه يا عم انت، ماأهزرش يعني.

- من ضمن اللي انتي فيه هو تقلب المزاج بسرعة، يعني من شوية كنتي متدمرة، دلوقتي بتهزري، فاهمة أنا عاوزة أوصلّك إيه؟
- أنا كنت بهزر، عادي على فكرة.
- أنا مش بهاجمك يا بنتي، حاولي تفهمي كلامي.
- طيب ممكن نعمل جلسة دلوقتي، عشان محتاجة أفهم شوية.
- حاضر.

جلست بجانبه وهي تنظر له بكل هدوء:

- يلا اتكلم.
- لا، انتي اللي هتتكلمي، احكيلي اللي حصل النهاردة.
- كنت في كافيه ولسة واصلة وصلتني رسالتك، فرحت بيها جدًا، وقررت أتصرف بطبيعتي زي ما قلت، دخل مصعب وقعد قدامي، شكله كان تعبان، أخذته غصب عنه وجريت على المستشفى، عرفت أن عنده السكر، معرفش إزاي عملت كدة، معرفش إزاي كنت بالجرأة دي، فهد، أنا مش فاهمة نفسي، مش فاهمة أنا إيه وبعمل كدة ليه، مش عارفة أنا ليه كدة، مش عارفة يافهد، ساعدني.
- طبعًا أنا مش فاهم الموضوع كله، ومش عارف إحساسك كان إيه، بس تعالي أفهمك شوية حاجات الأول، شوفي يا لوسين، انتي إيه هدفك في الحياة؟، بمعنى تاني انتي عايشة ليه، عاوزة توصلي لإيه؟

لم تفكر لوسين في هذا السؤال من قبل، لم يخطر في بالها حتى، حاولت أن تجد إجابة، لكن عجزت عن إجادة أي شيء لتقوله:

- معرفش يا فهد، حقيقي مافكرتش في السؤال دة، تقريبًا حياتي كاملة، لو بصينا من ناحية الماديات أنا مرتاحة جدًا وكل الناس تتمنى توصل للي أنا فيه، من ناحية الصداقات كل الناس تتمنى تقعد معايا، وعندي صحاب كتير يفدوني برقبتهم، من ناحية التعليم أنا متخرجة من إعلام وبامتياز، من ناحية الشكل أعتقد إني حلوة يعني، أظن يا فهد إن لو أي حد عاش حياتي هيكون مرتاح ومبسوط.

فهد:

- برضه ماقولتيش انتي عايشة عشان إيه، حاولي تلاقي سبب، فكري كويس.

نظرت أمامها وهي تفكر في ذلك السؤال، رغم سهولة الإجابة لأغلب الناس، لكنه كان صعبًا بالنسبة لها، لا تدري لماذا وُلدَت، ما الهدف في وجودها في هذه الحياة؟! لا تدري ما هو هدفها، قديمًا كانت تريد أن تستقل بنفسها بعيدًا عن عائلتها، أرادت الحرية وحصلت عليها، حصلت على وظيفة جيدة ومديرها هو صديقها من الجامعة، تملك منزلًا رائعًا وفي منطقة مشهورة، لديها سيارة حديثة الطراز، كل شيء كامل، لكن لا تدري ما هذا الشعور، شعور بالفراغ والوحدة، حتى أقرب الناس لها لا يعرفون شيئًا عن مشاعرها و أفكارها الغريبة، نظرت أمامها وهي تفكر في كل ذلك، لمَ هي تعيسة رغم كل ذلك؟!

قطع حبل تفكيرها نهوض فهد من جانبها وأمسك يديها:

- تعالي نجري شوية.
- نعم!

- تعالي نجري لحد ما تتعبي من الجري، يلا نجري.

ترك يديها وبدأ في الركض، نظرت له وهو يركض ويبتسم لها، كم هو ابتسامته مريحة، تعطي شعور بالأمان، الأمان الذي حُرمَت منه مدى حياتها، لم تستطع أن تركض جلسَت على الأرض، وامتلأت عينيها بالدموع، تبكي بدون صوت بكاءً مكتومًا، أرادت أن تصرخ بأعلى صوت، أرادت أن تصرخ؛ لكي تنطفئ تلك النار التي بداخلها، أرادت أن تتحرر من ذلك العذاب الذي يعيش بين ضلوعها.

- لوسين، مالك! فيه إيه؟

- معرفش أنا فيّا إيه، صدقني لو أعرف هقول، كل اللي أعرفه إني تعبت، أنا تعبت خلاص، جوايّا مشاعر كتير، بفكر في حاجات كتير ومش عارفة أنا عايشة ليه، كل اللي أعرفه إني تعيسة ومالیش حق إني أكون تعيسة، ادّيني سبب يخلي واحدة زيّي تعيسة، دة حتى حياتي الكل بيتمناها.

ضمها إلى صدره ووضع يديه حولها، ربَت على رأسها في حنان:

- ماتقلقيش أنا معاكي، اهدي وقوليلي حاسة بإيه؟

- حاسة إني وحيدة، وإني بدور على حاجه مش موجودة، وحشِتْني نفسي القديمة رغم إني ماكنتش سعيدة، بس كنت بنام مرتاحة، كنت بكون سعيدة بأقل حاجة، كنت طفلة بريئة بتحب كل الناس، كنت نضيفة... نضيفة.

الهواء يضرب جسدهما، يمتزج في أرواحهم، يعطيها حضنه دفئًا في قلبها، يتسلل بين ضلوعها، أحكم قبضته:

- انتي نضيفة، بس جوّ الدنيا كان متَرَبّ، تعالي أسمّعك أغنية.

بدأت أنغام أجنبية عذبة تعزف وكأنها تسيل متسربة لداخل روحها.

فهد:

- انتي ممكن تكوني ملكة تاني، بس ساعديني.

أخذتها الأغنية إلى عالم آخر، أبحرَت في عالم بلا قيود، وعند آخر جملة عادت وهي بين حضن دافئ.

- ممكن تفهمني، أنا حزينة ليه؟
- عشان انتي لوحدِك، بتصارعي أفكارك ومشاعرِك لوحدك، من غير ما حد يقف جنبك، من غير ما حد يقبلِك بعيوبك قبل مميزاتك، حزينة عشان انتي مش مرتاحة في حياتك رغم إنك شايفة إن حياتك كاملة، بس حياتك ناقصة حب وأمان ومودة.
- أنا مش بعترف بالحب، أصلا مش بعرف أحب!
- انتي أكتر واحدة بتعرف تحب، انتي أصلًا عايشة بتدوري على الحب؛ لأن ده اللي ناقصك.
- لا! أنا مش بدوّر على الحب، أنا مش عاوزة أصلًا أتجوز ولا عاوزة أحب.
- في كل علاقة بتدخليها بيكون عندك نية إنك لو حسيتي إنه هو المناسب هتكملي، بس بتحسي بغدر فبتهربي، رغم إن إحساسك دة غلط، بس انتي بتخلقِي سبب عشان تهربي، عشان خايفة يسيبك هو، لأن انتي عارفة إن محدش يقدر يستحمل تقلّبك واحتياجاتك، مع إن كل احتياجاتك هي إنك تحسي بالأمان و إنك مرغوب فيكي، وإن

اللي قدامك مستعد يكسر الدنيا عشانك، باختصار إنك تحسي بإنك في أمان.

- يعني أنا مش (heartbreaker)؟

فهد: لا، انتي اللي قلبك مكسور، ولما حد بيجي جنبه بيتجرح، عشان هو لسة مكسور.

- طيب ممكن أعرف ليه أنا خايفة على مصعب؟
- عشان انتي منجذبة ليه، وعاوزة تقربي منه، ولما لقيتي مشاعرك زيادة جدًا هربتي.
- بس أنا ماقولتلكش إني هربت؟
- وهي دي حاجة محتاجة إنك تقوليها، شوفي الحل إنك تسيبي نفسك المرة دي، مش هتخسري حاجة، سيبي نفسك يا سيدة الظلام.
- بس افرض.....
- مابسش، جرّبي ومش هتخسري، أنا لازم أمشي عشان أنا متأخر على شغلي.
- أنا آسفة إني بطلّعلَك في وقت مش مناسب، بس ماليش غيرك.
- عارف، وعشان كدة لو احتاجتيني في أي وقت قوليلي، سلام يا لوسين.
- شكرًا بجد.

ذهب مسرعًا دون أن يتلفظ بكلمة، ركضت خلفه:

- استنى، الجاكيت بتاعك!
- لا خليه معاكي ورجعيه بعدين.

- طيب اسم الأغنية إيه عشان عاوزاها؟
- مش هقدر أقولك اسمها، عشان ماتفقِديش إحساسها، بس أوعدك هسمّعك كل شوية أغنية هتاخدك بعيد، سلام يا بِت.

ذهب راكضًا، فقالت بصوت مرتفع:

- أنا هسمّيك (محيط)!

نظر لها وهو يضحك:

- ليه؟
- عشان انت قلبك كبيييير زي المحيط.

ضحك بصدق واختفى بين السيارات.

****

كل إنسان مريض نفسي، هذه قاعدة حتى لو أنكرها الجميع، هل تتذكر كم من المرات التي فكرت فيها في الموت؟! في سبب وجودك؟! هدفك في الحياة؟! هل خُلقت لهدف أم سوف توضع في هامش التاريخ، هل سوف تغيّر حياة أحدهم، هل سيعرف العالم اسمك؟

في ذلك المشفى:

- هو أنا فين؟

الممرضة:

- **انت في مستشفى!**

مصعب:

- **أكيد عارف إني في مستشفى، أنا أقصد إيه اللي حصل؟**
- **حضرتك أغمي عليك وفيه آنسة جابتك.**
- **مين!**
- **قلت آنسة جابت حضرتك، وكانت قلقانة عليك، وملأت الأوراق المطلوبة ومشيت!**
- **تمام، شكرًا.**

ذهبت الممرضة، وتركته حائر في بحر من الأسئلة، تذكر تلك الفتاة التي أرغمته على الذهاب معها، لا يتذكر أكثر من ذلك، نزع كل الأجهزة والإبر، أخذ ملابسه و انطلق، استوقفه الطبيب:

- **انت رايح فين حضرتك؟**
- **أنا لازم أمشي حالًا، أدفع فين؟**
- **لازم نطمن عليك الأول.**
- **أنا كويس يا دكتور والله، قل لي أدفع فين بس؟**
- **الآنسة دفعت مصاريف ٣ أيام ومشِيت.**
- **طيب ماسابتش أي حاجة تدل عليها؟**
- **لا والله، بس أكيد فيه نسخة من بطاقتها أو بطاقتك.**

تحسّس مصعب ملابسه لم يجد محفظته:

- طيب فين ألاقي النسخة؟
- تحت في الاستقبال، ولو هتمشي يبقى تاخد بقية الحساب؛ لأنك ماكملتش ثلاثة أيام.
- تمام، شكرًا لحضرتك.
- ماتنساش تاخد أدوية السكر في معادها؛ لأن المرة الجاية ممكن تحصلك مضاعفات ممكن مانقدرش نلحقك.
- تمام يا دكتور، تعبتك معايا.

انطلق إلى الاستقبال الذي قال عليه الطبيب:

- ممكن نسخة من بطاقة الآنسة اللي جابتني هنا؟

الموظف:

- تمام حضرتك، اديني ثواني.

انتظر كما لم ينتظر من قبل.

- اتفضل.

أمسك بالورقة على عجل:

- فاطمة سيد عيسى؟!

الموظف:

- نعم ؟!
- لا ولا حاجة، شكرًا.

****

أجواء الصباح تطرق على أبواب، تعلن عن بداية يوم جديد، يحمل ما يحمل في طياته، استيقظ مصعب في هدوء، ارتدى ملابسه وذهب باحثًا عن تلك الفتاة في ذلك الكافيه، التقى النادل فسأل:

- لو سمحت هو فين مدير الكافيه؟
- تقصد أستاذ حسين؟
- آه، ممكن تناديه عشان عاوزه؟
- حاضر يا فندم.

حسين:

- أخبارك إيه يا فندم، ألف سلامة على حضرتك.
- هو فيه بنت أخدتني المستشفى، معاها اللاب بتاعي، ومحفظتي.
- اللاب بتاعك معايا، بس المحفظة ماأعرفش هي فين.
- يعني البنت دي حرامية، وسرقتها؟
- ماأسمحلكش تتكلم عنها كدة.
- انت تعرفها؟!
- آه أعرفها، وهي ممكن تكون أخذتها من غير قصد.
- طيب، ممكن تخليني أقابلها؟
- لا، مش هينفع عشان.....
- أنا لازم أشوف البنت دي!

- أنا قلت لا، ومحفظتك هتكون عندي بكرة، تعالى خدها بكرة، تؤمر بحاجة تاني؟

مصعب:

- هوصلها يعني هوصلها.

لم يهتم حسين لما قاله وذهب إلى مكتبه وهو يحاول الاتصال بها:

- أنا مش فاهم وجهة نظرها من الموضوع، خدِت محفظته ليه؟!

****

السجائر تحيط سرير للوسين يمكن أن تجزم بأنها أحرقت عددًا كافيًا لقتل شاب في مقتبل العمر، عدد كبير من المكالمات التي وردت لها، والكثير منها باسم (حسين):

- فيه إيه، كل دي مكالمات؟

جاء صوا حسين على الطرف الآخر:

- ممكن تيجي حالًا عشان أنا مش فاهم حاجة، وبصراحة مش هستحمل حد يقول كلمة عليكي.

- كلمة إيه؟ فيه إيه؟

- الواد اللي ودتيه المستشفى بيقول إن محفظته معاكي، وبيقول كلام غريب، وطريقته وهو بيتكلم عليكي غريبة، قال إيه هيوصلّك قال!

- آه فعلًا محفظته تقريبًا في العربية، اصبر أنا هجيلك حالًا.

في غضون دقائق كانت في سيارتها تبحث عن محفظة مصعب، وجدتها ولم تقاوم غريزة الفضول، فتحتها وبحثت بداخلها بشغف، أخرجَت محتواها

كسارق اختلس محفظة أحدهم، وجدت كروتًا لأشخاص، بعض النقود الأجنبية واضح أنها تذكار، صور لا تعرف من هم، لكن هناك صورة كتب على ظهرها (فليبقى الوفاء يا ولدي) من المؤكد أنها والدته؛ لأن يمكن ملاحظة الشبه الكبير بينهم، قصاصة ورق كتب فيها (أينما كنت ومهما كانت حالتك تذكر أنك في روحي وفؤادي، وستظل الرجل الذي لن أنساه حتى عندما أذهب لمن خلقني سوف تظل في خلدي... أحبك)

أعادت كل شيء إلى مكانه و انطلقَت للكافيه.

****

- انت عارف إن الأدمان غلط ولا لأ؟

المريض:

- آه عارف، ومش ناوي أبطّل.

فهد:

- طيب ليه جيت؟
- عشان أهلي عاوزين إني أبطل.
- طيب عارف إنه حرام؟
- عارف، وعارف إنه ممنوع و إنه بيدمر الواحد، وبرضه مش هبطل.
- طيب اتفضل حضرتك، وخلي أهلك ياخدوا فلوس الكشف، آه.. وأحب أقولك انت في يوم ما هتجيلي من غير أهلك وتقولّي ساعدني.
- ابقى قابلني.

انتهى فهد من عمله بعد يوم متعب للأعصاب، وضع ملفات المرضى جانبًا، فتح ملف يعرفه جيدًا، عاد لقراءته للمرة الألف (لا يمكن تحديد مرضها بسبب وجود تشابه كبير بين عدة أمراض، اضطراب الشخصية الحدية، اضطراب وجداني ثنائي القطب، اضطراب الشخصية الاكتئابية، يوجد احتمال أنها حالة نادرة، أو أن حالتها مرض جديد لم يتم اكتشافه بعد، لا يمكنني تصنيف مرضها بعد، لكن بمرور الوقت سوف يمكنني الجزم)، أغلق الملف ووضعه في مكان بعيد عن بقية الملفات.

****

باب مكتب حسين يفتح ولوسين تدخل ودون أن تمهله تنطلق بالحديث:

- فهمني عشان انت بتتكلم بسرعة ومافهمتش منك حاجة؟
- الواد اللي خدتيه على مستشفى جالي النهاردة، وبيقول إن محفظته معاكي و إنك حرامية، تقريبًا بيستفزني عشان عاوز يشوفك، وقبل ما يمشي قال هوصلّها، يقصدك انتي، ممكن تعرفيني انتي اتنيلتي عملتي إيه؟
- ماعملتش، وديته المستشفى ودفعت الحساب ومشيت، محفظته معايا عشان نسيتها في العربية، هو قالّك هيجي امتى تاني؟
- قولتله يجي بكره وهجيب له المحفظة.
- أنا اللي هقابله.
- مش قولتيلي معرّفهوش حاجة عنك، وأصرفه؟
- لا خلاص، أنا اللي هقابله.

- انتي مجنونة عقليًا أقسم بالله، مش فاهم ليكي وش من قفا!
- معلش بقى، أنا همشي دلوقتي، هكلمك بعدين.

****

أخذ هاتفه وفتح سجل المكالمات، ضغط على اسم (دكتور إبراهيم)، رن لعدة ثواني، ثم أتى صوت:

- إزيك يا فهد؟
- أنا بخيروالله يا دكتور.
- فيه حاجة و اقفة معاك في بحثك ولا إيه؟
- بصراحة فيه، أنا عارف إن حضرتك مشغول فهحاول أختصر، الحالة اللي قولت لحضرتك عليها، مش عارف أشخّصها لغاية الآن، فيها حاجات كتير، تقريبًا من كل مرض واخدة خصلة، شاكِك في كام حاجة بس بيظهرلي إنها لا، مش عارف أستقر على مرض معين، بس هي بتميل لاضطراب الشخصية الحدية شوية، بس برضه بتميل لاضطراب وجداني ثنائي القطب، وساعات بشوف إن عندها اضطراب الشخصية الاكتئابية، واضطراب الشخصية النرجسية، مش عارف يا دكتور أعمل إيه، عندك أي أفكار؟
- حاول تتقرب أكتر، اسمع أكتر وركز في كل حاجة، هيتضح أكتر مع كل جلسة، حاول تعرف أكتر ذكريات هي مش نسياها؛ لأن الذكريات دي بتوضح حاجات كتير.
- تمام يا دكتور، أمّا أوصل لحاجة جديدة هبلغك.

أغلق الهاتف و اتصل بتلك الحالة:

- إزيك يا لوسين؟
- أنا بخير الحمد لله، فرحانة جدًا وعاوزة أحكيلك حاجات حصلت، فاضي امتى؟
- أنا فاضي دلوقتي، تيجي نتقابل؟
- أكيييييييد، هنتقابل فين؟
- هاخدك مكان مميز جدًا، هبعتلك العنوان.
- تمام، هلبس و أنزّل على طول.

استعدّت للقائه بكامل أناقتها، وأخذت معها محفظة مصعب، يبدو أن المكان الذي قال عليه فهد ليس بعيدًا عن منزلها، ذهبت مسرعة؛ لكي تسبقه على المكان.

كان فهد في المطعم وأختار المكان الذي سوف يجلسون فيه، طلب قهوة، فتح هاتفه لكي يتصل بها، وجدها أمامه:

- كنت لسة هتصل بيكي.
- حلو المطعم دة، أنا أول مرة أدخله.
- المطعم دة بحبه جدًا، القهوة عندهم جميلة.
- أنا بعشق القهوة، تعالى نطلب.
- أنا طلبت لنفسي ماكنتش أعرف إنك بتشربي قهوة؟
- ندل، عاوزة قهوة سادة.
- عُلِم يا سيدة الظلام.

- أحكيلك اللي حصل، شوف يا سيدي انت قولتلي أجرب ومش هخسر حاجة، فعلًا كنت ناوية آخد فعل، بس القدر حب يساعدني، مصعب راح الكافيه وكلم حسين وكان عاوز يشوفني عشان محفظته معايا، وقال هوصّلها يعني هوصّلها، دة معناه إنه عاوز يشوفني ويكلمني، لو راجل قال كدة يبقى مهتم، وهيبقى سهل إني أوقعه، إيه رأيك بقى!
- انتي ناوية توقعيه؟!
- آه!
- ليه؟
- مش انت قولت أجرب؟
- أنا قلت تجربي تسيبي نفسك وتحبي، مش تلعبي.
- ما أنا هوقعه و أنا بحبه.
- اللي بيحب مش بيوقّع حد، أنا قصدي سيبي نفسك إن المشاعر تجري جواكي لحد ما تحتلك، إنك تسيبي الموضوع يجي زي ما يجي من غير خطط ومن غير قوانين.
- إزاي؟ ماأعرفش المواضيع دي بتيجي إزاي؟
- يعني سيبي كل حاجة للقدر، ماتحضّريش كلام ولا أفعال، ماتتوقعيش أي حاجة، سيبي كل حاجة تاخد مجراها، يعني هو مهتم شوفي هو هيعمل إيه و اتصرفي بطبيعتك، بطبيعة لوسين الحقيقية مش اللي انتي رسماها، بمعنى أدق ماتفكريش في تصرفاتك، وعشان ماتفهميش الكلام غلط، فكري في تصرفاتك الطبيعية، ماتفكريش في خططك وقوانينك، فهمتي أقصد إيه؟
- انت تقصد أتصرف عادي، من غير خطط، من غير وشوش؟

- بالظبط.
- طيب لو هو ماتقبلنيش، أعمل إيه؟
- يبقى مش هو دة الشخص اللي هتكملي معاه حياتك، اللي هتكملي معاه حياتك هيتقبلك بكل حاجة فيكي، بالوحش قبل الحلو.

ذهب تفكير لوسين إلى ذلك اليوم الذي لن تنساه مدى حياتها، اليوم الذي تركها فيه (حلمي)، تركها وحيدة ضعيفة، تتذكر اليوم بكل تفاصيله كأنه البارحة، لم يندمل جرحها بعد، أحست بحرارة في قلبها، مثل ذلك اليوم.

- لوسين انتي كويسة؟ بتعيطي ليه؟
- هو أنا بعيط؟

لمست وجنتيها في هدوء، و ابتسمت.

- آه أنا بعيط، بعيط على جرح انت فتحته و انت مش واخد بالك، بعيّط عشان قلبي واجعني زي وجع اليوم اللي اتجرحت فيه، أنا بعيط....
- أنا آسف، بجد ماكانش قصدي.
- تحب أحكيلك؟
- لو انتي مستعدة، لو انتي قابلة إنك تحكي!

لوسين:

كنت في تانية ثانوي، اتعرفت على (عبدالحي) في الدروس، كنا بنتكلم كتييير لحد ما قال لي إنه بيحبني، ساعتها فرحت لأن دي أول مرة حد يحبني، وارتبطنا ببعض، في الجامعة أهلي عرفوا إني بحبه و إننا بنتقابل وبنخرج،

ضربوني وحبسوني في البيت، وأخدوا موبايلي، حاربتهم ورفضت كل العرسان، لحد ما بابا قالّي مش انتي عاوزاه خليه يجي يتقدم، (عبدالحي) راح لأبويا وكلمه وقال له ظروفه و اتفقوا إن أول ما يرجع من استراليا هنعمل الفرح، كل حاجة كانت جاهزة، ناقص بس أخلص آخر ترم في الجامعة، وهو يجي من استراليا، في الوقت اللي كان هو مسافر كنت بحترمه في غيابه قبل وجوده، كنت كل يوم بكتبله رسالة في دفتر عشان لما يجي يشوف كان واحشني قد إيه، كنت بدعي له في كل فرض، بدعي له قبل ما أدعي لنفسي، بعتله رسالة على الإيميل عشان أشوف جاي امتى، و أقولّه إني خلاص باقي امتحان واحد، بعتلي رسالة بعد أسبوعين من رسالتي، بيقولي فيها بالنص (أنا آسف يا لوسين بس أنا مش هقدر أكمل معاكي، انتي مالكيش ذنب انتي عملتي كل حاجة حلوة ليا، انتي أي حد يتمناكي، بس أنا مش هقدر أكمل، أنا فعلًا أسف)، تخيل بعد كل دة سابني، وماأعرفش السبب الحقيقي، أبويا ضربني وقالّي قولتلك إنه مش راجل، وطبعًا ماعنديش أي حاجة أدافع عنه بيها، فضلت قاعدة مع أهلي سنة بعدها، فضلت أدوّر في السنة دي على شغل لحد ما لقيت رأفت في مقابلة شغل، وشغّلني معاه، رجعت بيتي بعد أما وقَّعت على عقد الشغل، وقولتلهم إني ماشية ومش هرجعلكم تاني، بابا طبعًا نزل فيا ضرب، بعد أما خلص ضرب قولتله جملة واحدة بس، (دي آخر مرة تضربني فيها)، بصّلي باستغراب كأنه أول مرة يعرف إن دي بنته، مسكت شنطتي وروحت عند الباب، قالّي "دة انتي مخططة من زمان بقى أنك هتمشي"، "آه من ساعة ما بقيت أفهم و أنا مستنية اليوم دة، اليوم ألي هسيبك فيه يا (حمدي) انت و(عمرو)"، "لو مشيتي لا انتي بنتي ولا أعرفك"، ضحكت بكل برود وقولتله "أنا مش بنتك أصلًا، بنتك ماتت قول للناس كدة عشان أنا مش هرجع تاني، أو افضح نفسك وقول إني سيبتك"، مشيت ساعتها من البيت وبقيت عايشة لوحدي، غيّرت اسمي عشان أكون أنا اللي

اخترت اسمي مش هو، اشتغلت كتير لحد ما بقيت مذيعة، وحياتي اتحولت بقيت حرة في كل حاجة، بس لسة الجرح موجود، فضلت كتير أعيّط، لحد ما قررت إني هنتقم من كل الرجالة، لعبت برجالة كتير وجرحتهم، كنت بستمتع لما أسمع واحد منهم يعيط عشان ماأسيبوش، كنت بسيبهم وأنا بضحك وبختم كلامي بـ(أنا أسفة بس أنا مش هقدر أكمل)، بس مع كل واحد لعبت بيه كنت بخسَر حتة من نفسي، كنت بخسر (لوسين)، لحد ما اتحوّلت لكاسرة قلوب الرجال، وصاحبة القلب الحجري الذي لا يعرف للحب طريق.

فهد:

- تحبي تسمعي رأيي؟
- اتكلم، مش هتفرق كتير.
- على ما أظن دة كان أول حب في حياتك، عشان كدة لما سابك اتجرحتي جامد، وساعتها عقلك الباطن قرر يحميكي، إنه مايحبش تاني؛ لأنه لما حَب اتجرح، عمل بلوك على أي نوع مشاعر حب، وطلع مشاعر مزيفة، كل دة وانتي مش واخدة بالك، دة اسمه في علم النفس (سيكولوجية الدفاع) فيه أنواع كتير العقل بيعملها عشان يحمي البني آدم من الوجع، ودة اللي حصل معاكي، عقلك قرر يكبت المشاعر دي، دة أولًا، ثانيًا: كنتي بتبقي سعيدة وانتي بتسيبهم عشان انتي كدة قلَبتي الآية، وكدة انتصرتي وبانتصارك دة هتنسي جرحك، بس مع كل واحد كنتي بتجرحيه كنتي بتخسري حتة منك، عشان المشاعر رصيد حتى لو مشاعر مزيفة، ليها برضه رصيد، بقيتي حجر والمرأة التي لا تُقهَر عشان خلصتي رصيدك، نسيتي الحب؛ لأنك دفنتيه في درج صغير جدًا في عقلك، بس جوة الدرج دة مجرة، بس

انتي مش فاكراها، أو بمعنى أدق برضه عقلك مش راضي يسمحلك إنك تفتحي الدرج ده، بسبب جرحك.

- يعني أنا مش هعرف أحب تاني؟
- لا هتعرفي.
- إزاي؟ مش أنا خلصت رصيدي؟
- خلصتي المزيف، مش الحقيقي يا هانم.
- ممكن تفهّمني أعمل إيه عشان أفتح الدرج؟
- سيبي كل حاجة تيجي زي ما تيجي، من غير خِطط أو توقّعات.
- طيب أنا هقابله بكرة، أعمل إيه و أقول إيه؟
- سيبيه هو اللي يبدأ، وخلي الكلام يجيب بعضه، اتصرفي من غير تكلف، اتكلمي بطبيعتك.
- كلامَك بيحسسني إني جو ايا حرب، أنا ساعات فعلًا بحس إني جو ايا حرب، و اتنين بيتخانقوا جوة، و أنا و اقفة في النص بتفرج عليهم.
- انتي فعلًا جواكي حرب، بس صدقيني الخير هينتصر في النهاية.
- صحيح أنت كنت مكلّمني ليه، فيه حاجة؟
- حبيت بس أكون جنبك.
- انت دايمًا جنبي، وفعلًا مش عارفة انت بتعملّي كل دة ليه!
- عشان ماأقدرش أشوف حد محتاج مساعدة وماأمدش إيدي عشان أساعده، أول يوم قابلتك فيه قررت إني لازم أساعدك.
- طيب إزاي عرفت إني هقبل المساعدة، مش ممكن أرفضك؟

- اليوم دة انتي كنتي متدمرة لدرجة أنك قولتيلي حاجات مستحيل تتقال.
- أنا قولت أيه؟
- قولتي كل اللي في قلبك.
- أيون إيه هو؟
- اسألي لوسين هي هتقولك.
- يانهار أسود، الساعة بقت تسعة، أنا لازم أمشي عشان هصحى بدري بكرة.
- عندك إيه بكرة؟
- هقابل مصعب، انت نسيت ولا إيه؟
- آه نسيت.
- استنى؛ أنا نسيت أخليك تشوف محفظته.
- مش عاوز أشوفها، يلا روّحي عشان تنامي، و أنا كمان ور ايا كام حاجة في الشغل لازم أعملها.
- مالك بتتكلم كدة ليه؟
- عادي والله، بس تعبان جدًا، ولسة ور ايا مليون حاجة أعملها.
- أنا آسفة إني دايمًا بعطلك، بس مليش غيرك يا (محيط).
- عارف يا سيدة الظلام، نامي كويس، هكلمك في أقرب فرصة، و انتي لو احتاجتي حاجة كلميني على طول.
- من غير ما تقول هكلمك بكرة وأحكيلك، ادعيلي يا (محيط).

- هدعيلك من كل قلبي، ومستني مكالمتك بكرة.
- مع السلامة.

ودعته بكل سعادة، تدعو له من كل قلبها أن يرزقه حبًا مخلصًا، يملأ عالمه سعادة، مثل تلك السعادة التي في قلبها.

أخذ جرعة (الأنسولين)، واستعد ليوم غد يفكر هل سيراها، أم سوف يمنعه مدير الكافيه، يعلم جيدًا أنها لم تسرق محفظته، وكيف تكون سارقة وهي من دفعت له تكاليف المشفى، يريد أن يعرف من هي تلك الفتاة التي أرغمته بالذهاب معها، ولماذا قالت الممرضة أنها قلقة عليه، يجب أن يراها؛ لكي يعرف أجوبة هذه التساؤلات.

هكذا أقنع نفسه، لكن هو أيضًا لا يعلم ماهية الشعور الذي يجويه، فقط يريد أن يرى من هي تلك الفتاة التي كسرت قوانينه، ومن أين لها بهذه الجأة، لماذا يفكر فيها كثيرًا.

الليل يمكن أن يكون جنة، ويمكن أن يكون جهنم، فمن بداخل عقله ملائكة سوف ينعم بليلة هادئة، ومن يمتلك شياطين تكون ليلته الجحيم بذاته.

كانت ليلة لوسين أقرب للجحيم، تفكر بما سوف يحدث غدًا مع ذلك الشاب، ولماذا يريد أن يراها، وهل سيقول لها أنها سارقة، أو سوف يشكرها، لا تدري ماذا سوف يحدث، حاولت أن تغطَّ في النوم لكن ما باليد حيلة، أخذت حبة منومة وسافرت لعالم الأحلام.

****

استيقظَت في الواحدة ظهرًا، تعاني من ألم في الرأس بسبب الدواء اللعين الذي ابتلعته، أعدّت بعض الملابس الأنيقة وذهبت لتأخذ حمامًا دافئًا؛ لتريح جسدها وتكون على أهبة الاستعداد.

مصعب أمام الكافيه ينتظر مجيء (فاطمة)، لم يدخل الكافيه خوفًا من أن يمنعه مدير الكافيه، لم يفقد الأمل، ظلّ منتظرًا من التاسعة صباحًا، وسيظل منتظرًا إلى أن تأتي.

وضعَت ملابسها وبعض مساحيق التجميل، لكن حافظت على هدوء هيأتها، وضعت عطرها المميز، وذهبت لتقابل مصعب، وتعلو في ملامحها سعادة حقيقية.

بينما ينتظر مصعب في سيارة لمح ظلها يدخل الكافيه، أغلق السيارة بهدوء، ظل يراقبها بصمت إلى أن يستجمع قوته.

دخلت (لوسين) وهي تنظر حولها بدقة:

- لسه ماجاش ياختي.

لوسين:

- إزاي! مش هو قالك إنه هيجي بكرة؟

حسين:

- والله لسة ماجاش.

- طيب والعمل؟
- اقعدي واستني، و أنا أصلًا متضايق منك؛ لأني مابقتش فاهم حاجة.
- هفهمّك والله، بس في الوقت المناسب.
- هجيبلِك قهوتك.

ذهبت إلى مكانها المعتاد وجلست تفكر لماذا لم يحضر إلى الآن، هل سوف يأتي أم لا، فتحَت هاتفها وهمت بالاتصال على فهد، لكن أتاها صوت قطع حبل افكارها:

- ممكن أعرف انتي مين؟

لوسين:

- أنا اسمي فاطمة.

مصعب:

- أكيد عارف معلومة زي دي، ما أنا لما صحيت ولقيت نفسي في مستشفى ولوحدي، كان لازم أعرف مين اللي جابني، وكان لازم أحاسب، بس مالقتش محفظتي!
- محفظتك معايا بالغلط، ماكانش قصدي أخدها، و اتفضل يا سيدي محفظتك.
- طبعا فتحتيها.
- آه، عشان أعرف اسمك.
- وعرفتيه؟

- من النهاية ومن غيرلف ودوران، انت عاوز إيه دلوقتي؟
- عاوز أعرف ليه ساعدتيني، مع إني فاكر إني رفضت؟
- عشان ماأقدرش أسيب حد محتاج مساعدة وماأساعدش.
- وهو أنا طلبت منك تساعديني؟
- كان لازم أساعدَك؛ لأنك كنت ممكن تموت، دة بدل ما تشكرني حتى؟
- أنا آسف، بس أنا أسلوبي وحش في التعامل، شكرًا ليكي.
- عفوًا، و أنا آسفة إني فتحت محفظتك.

مصعب وهو يبتسم بهدوء:

- لا ماتعتذريش، خلاص.
- أنا طلبت قهوة تحب تقعد تشرب معايا؟
- أكيييد.
- ممكن سؤال؟
- أكيد.
- انت إزاي شاب وعندك السكر؟
- ربنا قدر أنه يتنقل ليّا أنا، جالي أيام الثانوية.
- ربنا يلطف بيك.
- يلطف بينا كلنا، على فكرة أنا عارف إنك ماكانش قصدك تسرقيها، بس كان لازم أقول كدة عشان أقابلك.
- وعاوز تقابلني ليه؟

ساد الصمت للحظات، حتى جاء صوت حسين:

- قهوتِك يا لوسين.

هرعت لوسين عندما سمعَت اسمها، كأنه سهم وأصاب منتصف الهدف، نظرت إلى مصعب، لم يعطي رد فعل، فقط قال:

- هو انتي اسمك فاطمة ولا لوسين؟
- لا اسمي فاطمة، بس عشان أنا وحسين صحاب من زمان فبيناديني لوسين، مش صح يا (حوس حوس)؟

أجاب حسين وقد استدرك غلطته:

- آه، أنا وهي صحاب من أيام ما كنا عيال صغيرة، عن إذنكم!
- على فكرة حسين بيحبك جدًا.
- ليه بتقول كدة؟
- مفيش بس باين.
- أنا وهو متربين سوا، تقريبًا هو أخويا و أبويا، أكتر حد بثق فيه في حياتي.

و قالت في عقلها: وفهد.

جاء في عقل مصعب سؤال ولم يبِح به؛ لكي لا يتخطى الحدود معها، نظر لها نظرة تفهم:

- ربنا يخليهولك.
- يارب.
- مش تقريبًا انتي مذيعة في قناة (الخبر)؟

- آه، انت بتتابعها ولا إيه؟
- كنت بتفرج زمان، بس دلوقتي مش فاضي.
- انت بتشتغل إيه؟
- بشتغل مهندس بترول، عشان أفهمك أنا بكون في البحر دايمًا، بنستخرج بترول.
- على أساس إني مش عارفة يعني إيه مهندس بترول!
- معلش أصل لما بقول لحد كدة مش بيكون فاهم، فبكون مضطر أحكيله يعني إيه مهندس بترول، شيء متعب الحقيقة.

ضحكت له وساد الصمت مرة أخرى، إلى أن قطعه مصعب:

- انتي ليه مش بتثقي في الناس؟

لا تدري ما حل بها بعد أن سمعت هذا السؤال، حاولت جاهدةً أن تفكر في إجابة مقنعة، إجابة بعيدة عن الحقيقة تمامًا، لكن لم يسعفها تفكيرها، وقالت بكل هدوء ونظرة عينيها تدل على قوة مصطنعة:

- أنا مش بثق في الناس عشان كل الناس مش بتحب الخيرلحد، عشان لو حد شافك ضعيف هياكلك، عشان كدة مش بثق في أي حد غير لما يكون أثبت إنه يستحق الثقة.
- تقريبًا تفكيرك زيّي، أنا برضه مش بثق في الناس، وبخوّن كل الناس، مش خوف منهم بس عشان ماوجعش دماغي.
- بصراحة عندك حق، الناس عبارة عن وجع دمااااغ.

- بجد شكرًا يا فاطمة إنك ساعدتيني، وآسف على أسلوبي، أنا اتعودت يكون أسلوبي ناشف، خصوصًا مع البنات.
- ليه خصوصًا مع البنات؟

هو أيضًا لا يدري ما يجب أن يقول، حاول أيضًا جاهدًا أن يجد إجابة بعيدة عن الحقيقة، لكن لم يسعفه تفكيره، فقط نظر لها:

- عشان مش عاوز أتعلق بحد.

سألته (لوسين) من دون تفكير:

- انت اتجرحت قبل كدة ولا إيه؟
- ممكن ماأردش على السؤال دة؟
- أنا آسفة، ماكانش قصدي أتعدى حدودي.
- لا عادي، بس مش بحب أفتكر، وبما إني قلت كده يبقى أكيد إجابة سؤالك آه، اتجرحت قبل كدة.
- ربنا يعوضك خير.
- لا، أدعيلي ربنا يرشدني للصح.
- ولك كذلك، ربنا يرشدك للصح.
- انتي ليه ساعدتيني، بجد إيه اللي خلاكي تساعديني؟
- معرفش، إحساس جو ايّا خلاني أقوم أساعدك.
- يبقى شكرًا لإحساسك الجميل.
- مش يمكن يكون إحساسي شرير خالص؟

- لو انتي شايفة إحساسك شريير خالص، يبقى أنا شايف إحساسك زي العسل.

ضحكت لوسين بشدة كادت أن تختنق من الضحك، وابتسمت له ببراءة. فقال:

- مش عارف إزاي قولت الجملة دي، انتي عملتي معجزة إنك تخليني لطيف في أسلوبي.

أنهى جملته ومات من الضحك، تمازجَت ضحكاتهم سويًا، إلى أن التفت لهم جميع الحضور، توقفوا عن الضحك ونظرا لبعض باستمتاع. ليستطرد:

- لو حد شافنا دلوقتي هيفتكرنا اتنين بيحبوا في بعض.

تصاعدت دقات قلب لوسين عندما سمعت جملته الأخيرة:

- لا يا عم، لا انت بتحب ولا أنا بحب.
- قولتي كلمة من ذهب، أنا مش بحب، بس انتي مش بتحبي ليه؟
- نفس إجابتك، عشان ماتعلقش و أتجرح تاني.
- أخيرًا لقيت بنت مش ناوية تحب، أنا متعقّد من البنات بجد، أي بنت بتكلم معاها عادي بعد كام يوم بلاقيها بتقولّي أنا بحبك، حاجة متعبة للأعصاب بجد، بس انتي طمنتيني إن لسة فيه بنات بتفكر بعقلها.

أحسّت بجفاف في ريقها، فابتلعته وقالت:

- ماتخافش أنا عمري ما هاجي في يوم و أقولّك إني بحبك.

أبتسم (مصعب):

- ليييه؟ هو أنا وحش قوي كده؟

ابتسمت رغم مزحته السيئة:

- لا مش وحِش، بس عشان أنا لا أعرف للحب طريق ولا هو يعرفلي طريق.
- أنا هقوله طريقك، شارع النصر عمارة مليون، شقة ترليون.
- يا سلام، إيه الأرقام الكبيرة دي؟
- عشان محدش هيلاقي ليكي طريق.
- للدرجادي مفيش أمل، لا سوف أموت دون حب، ياللهول.
- بدماغنا دي عمرنا ما هنحب.
- ودي أحسن خدمة هنقدمها للبشرية، إن دماغنا دي متتكاثرش.
- يعني انتي مقتنعة إنك مش هتتجوزي؟
- أنا مقتنعة إني مش هحب، بس أكيد هتجوز، وأمّا أتجوز هتجوز بعقلي، مش بروحي.
- طيب لو حبتيه بعد الجواز، هتعملي إيه؟
- حتى لو حبيته، هحكّم عقلي في كل حاجة، مش هسمح إني أتهان وأسكت، مش هسمح إنه يدوس عليّا، أنا حرة نفسي.
- اتجوزي واحد أجنبي بقى، عشان الشرقيين مش بيقبلوا بكده.
- مش بيهمني جنسيته أو شكله، المهم يحترمني ويحترم حريتي.
- انتي دماغ والله.

- أكيييييييد.
- أنا آسف، بس أنا لازم أمشي حالًا عشان عندي حاجات لازم أخلصها.
- لا لا أتفضل.
- أنا سعيد جدًا إني عرفتك، ولو مفيش مانع ممكن آخد الأكونت بتاعك، أنا مرضتش أطلب رقمك عشان ماأحرجش نفسي.
- هات موبايلك.

أخذت هاتفه وبعثت لنفسها إضافة على موقع (facebook)، وأعطته الهاتف والبسمة تعلو وجهها.

- إلى لقاء يجمعنا يا فاطمة.

صافحته بحرارة، وهي تفكر في اللقاء القادم لهما.

- فهد، مالك سرحان في إيه؟
- مفيش! سرحان شوية.

عهود:

- يعني أنا مش عارفة أخويا لما يكون متضايق مثلًا؟
- مش عارف يا قردة فيّا إيه، في حد شاغل بالي من فترة.
- والحد ده تصنيفه أنثى أم ذكر؟
- لا الحد بعديه الاتنين، وانتي مالك يا قردة، روحي ذاكري عشان تكوني المساعدة بتاعتي.
- الحد والاتنين اللي شاغل بالك دة مخليك متنح، وشكلك وِحش أما بتنح.
- برّة يا بِت من هنا، أنا غلطان إني جيت أقعد معاكم، وعشان كدة هعاقبك وهاجي كل يوم.
- ياريت ترجع تعيش معانا تاني، بتوحشنا كلنا.
- انتي عارفة إني اتعودت أعيش لوحدي.
- ربنا معاك يا أحن أخ في دنيا.

طبعت على وجنتيه قبله صغيرة، أغلقت الباب خلفها وتركته سارحًا في ذلك الشخص الغامض، لا يدري ماهية شعوره، مضطرب ولا يقدر على اتخاذ قرار، منذ متى وهو يشعر بمثل هذه المشاعر، رفض الانصياع لتلك

المشاعر، أخذ جميع أشيائه وانطلق لعمله وهو يحارب تلك الأفكار المضطربة.

باب مكتب دكتور (إبراهيم) يقرع:

- اتفضل!
- السلام عليكم!

دكتور إبراهيم:

- إزيك يا دكتورنا؟
- بخير حضرتك والله.
- أخبار بحثك إيه؟
- والله محتار يا دكتور، مش عارف أشخّص الحالة، فعلًا بحس إنها بتعاني من كام مرض في بعض، بحسّها مِيكس بين كذا مرض، ومش عارف أحدّد لغاية دلوقتي!
- ممكن توضح لي الحالة أكثر؟
- أي مرض نفسي بيجي بسبب وراثة أو عوامل بيئية ساعدت على ظهور المرض النفسي، أو حادث نفسي سبب صدمة، وأكيد ممكن يكون كل الحاجات دي متوفرة في حالة واحدة، طبعًا كل الكلام دة معروف ومش محتاج كلام فيه، سمعت منها شوية حاجات، آه الحجات مش سهلة بس برضه لا تؤدي للمرض النفسي المستعصي اللي أنا شايفه قدامي، فشاكك إنه ممكن يكون وراثة، ولو وراثة ساعتها فعلًا ممكن يجيلها؛ لأن ساعتها هيكون عندها استعداد

للمرض النفسي، بس ليه مش عارف أشخّصها؟! أنا شوفت حالات كتير جوة مصر وبرّة، وكلهم شخّصتهم صح ومشيوا على برنامج العلاج و اتحسنوا، ليه مش عارف أشخّصها يا دكتور؟

- هي الحالة ليه مش راضية توضح أكتر؟ المعطيات اللي بتقولها فهمتني إنها مش بتتكلم؟
- بصراحة يا دكتور هي مش عارفة إني بعالجها، ومش عارفة إنها البحث بتاعي!
- فهد، انت كده بترتكب غلط، والحالة مش هتسمح بشيء زي ده، لازم تقولها لأنها ممكن تدمر نفسيًا لو عرفت!
- ماقدرش أقولها يا دكتور، فات الوقت.
- طبعًا انت أعلم بأمورك، بس لو مش هينفع تقولها، يبقى تتأكد إنها عمرها ما تعرف؛ لأن ساعتها انت كدة بتدمر حلم جميل هي كانت عايشاه.
- هحاول أفهّم حضرتك حالتها، هي عاقلة جدًا وفي نفس الوقت معندهاش ثبات انفعالي، بتظهر إنها قوية وفعلًا بتنجح في ذلك، بس لما تقرب منها تكتشف إنها ضعيفة وهشّة، عندها تقلبات في المزاج حادة وسريعة، وتقريبًا مدمنة كحوليات ونظرتها للحياة دونية، ونظرتها لنفسها مشوّشة وغير بناءة، ممكن في ثانية تتحول من قط وديع إلى نمر مفترس، أنا على حسب المعطيات اللي قدامي هي احتمال قوي تكون شخصية حدية؛ لأن برضه ظاهر أمامي إنها بتخاف تتهجر، فبتسِيب قبل ما تتساب، خوف بشع من الهجران، لكن مش بتوضّح دة، بس أنا استنتجته من كلامها، يا دكتور أنا شوفت حالات

كتير، بس أول مرة حالة أكون مش عارف أشخّصها، بس اللي متأكد منه إن هي مريضة نفسية من الدرجة الأولى.

- طبعًا انت أكيد عارف إن اضطراب الشخصية الحدية بين حدود مع أكثر من مرض نفسي، وبالتالي فمن المتوقع شعورك بإنها بتعاني من أكثر من مرض؛ لأن كلنا عارفين إن الشخصية الحدية عندها أعراض كتير، اكتئاب و أفكار انتحار، وأكيد إدمان معين لحاجة معينه أو مخدر معين، هلاوس وممكن كمان خلق عالم مختلف تمامًا عن الو اقع، وممكن الشعور بالأهمية العظيمة، ولفت النظر بأي طريقة حتى لو هتكون سلبية على الفرد، وطبعًا توتر وقلق، ووسواس قهري، مش عاوز أخش في تفاصيل يا فهد، انت كدة قربت تمسك الخيط اللي هيوصّلك لطريقة علاجها، أنا برضه من خلال معطياتك عندي إحساس إنها شخصية حدية، هرجع أقولك حاول تدور في الحالة دي وتنبش فيها وتطلع أكبر قدر من المعلومات، وطبعًا هتلاقيني دايمًا لما تحتاجني، مع إني مش مو افقك على اللي بتعمله.
- شكرًا ليك يا دكتور.

((وعندما يطرق باب التحدي... لا تنظر خلفك))

ضوء الشمس الخفيف يطرق على الأبواب، معلنًا عن بداية يوم جديد، يوم بكل خباياه ومفاجآته، يوم قد يغير حياة الكثيرين، وبداية لحياة أشخاص، ونهاية أشخاص أيضًا، أنت لا تملك البارحة، ولا تملك غدًا، لكن تملك هذه اللحظة، اللحظة التي تستنشق فيها نفسًا جديدًا، الحياة هي هذه اللحظة.

خرجت لوسين من الحمام وهي في كامل زينتها، ارتدت فستانًا أسود رقيقًا، وحذاء لا يناسب ذلك الفستان، حذاء رياضي لكن يطابق لون الفستان، أخذت هاتفها وأخرجت رقم لشخص معينليأتي الصوت على الجانب الآخر:.

- أهلًا أهلًا، إزيّك؟
- أنا كويسة جدًا يا فهد، فاضي النهاردة؟
- حتى لو مش فاضي هجيلك.
- أنا رايحة البار، ما تيجي؟
- بار؟ تاني؟ ما تيجي أخدك مكان على ذوقي؟
- أصلي بصراحة عاوزة أشرب.
- هخليكي تشربي حاجة عمرك ما هتشربي زيها.
- أيوة بقى.

- شكل مزاجك حلو، تحبي آجي أخدك بعربيتي؟
- ياريت لأني مش عاوزه أسوق.
- ابعتيلي عنوانك.
- حالًا.

أرسلت له العنوان في رسالة، أجابها برسالة: "١٠ دقايق وهكون عندك".

لم تنتظر وذهبت مسرعة للشارع؛ لتستمتع بالشمس قليلًا، شعرت بدفءٍ يغمر جسدها، كم تحب فصل الشتاء، لكن تفتقد شعورها بالدفء، هبت بعض رياح الشتاء، مما جعل جسدها يقشعر، استنشقت بعض الهواء في عجلة، وجعلته بداخلها لوهلة، برودة استقرت في رئتيها، شعرت أنها تستطيع التنفس، نعم، إنها على قيد الحياة، وسيأتي الآن ملاكها الحارس، لكي يأخذ بيدها إلى تلك الجنات المدعوة بالأمان.

سيارة فارهة استقرت أمامها، لكن لا يبدو معالم لمن داخلها، أشاحت بنظرها بعيدًا، وأخذت تطلب رقم (محيط)، ترجل مَن بداخل السيارة:

- بدل ما ترني عليّا اركبي بسرعة عشان البرد.
- هي دي عربيتك؟
- أكيد لو نزلت منها تبقى عربيتي، يلا اركبي.

دخلت إلى السيارة مسرعة؛ لتحصل على بعض الدفء.

- عربيتك حلوة جدًا ماشاء الله.
- ما انتي ركبتي فيها قبل كدة.

- امتى دة؟
- أول يوم شوفتِك فيه، وكمان بسببك روحت وديتها تتغسل.
- يا سلام! ليه بقى؟
- عشان علبة مكياجك وسّختلي الكرسي يا هانم.
- خلاص يا عم متأسفين، شوف دفعت كام وهدفعلك الضعف.
- دفعت مليون جنيه!
- مع إنك كداب بس هدفعلك مليونين.
- غنية انتي كدة؟!
- لا قولت أعوم على عومك، ماقولتليش هتاخدني فين؟
- هاخدك مكان عمرك ما روحتيه قبل كده.
- فين يعني؟
- ممكن تخليها مفاجأة، و اتعلمي الصبر، ممكن؟
- حاضر ياعم بالراحة.
- شكل مزاجك حلو النهاردة!
- جدًا، قابلت مصعب و اتكلمنا كتير، وخَد الفيس بتاعي، و اتصرفت بطبيعتي خالص، وهزّرنا وضحكنا، كان يوم فعلًا كامل.
- طيب حلو.
- مالك بترد ببرود ليه؟
- هو لازم أكون متحمس يعني؟!
- مفروض تكون فرحان بيا.

- لما نوصل نتكلم في الموضوع عشان أفهم كل حاجة.
- طيب!

لا تدري لماذا أجابها ببرود، هل قالت شيئًا سيئًا لهذه الدرجة، ظلّت صامته طوال الطريق، مثله تمامًا.

لا يدري لماذا كان حادًا معها، رغم أنها لم تقل شيئًا سيئًا يجعله يجيبها بهذا البرود، أراد فقط أن تقول شيئًا، لكن ظلت صامتة طوال الطريق، فصمَت مثلها تمامًا، وسرح بذاكرته إلى ذالك اليوم، أول يوم يجمعهما سويًا....

- انتي شربتي كتير!
- وانت مالك، أشرب زي ما أنا عاوزة، هشرب لحد ما أموت، وانت مالك انت؟
- أنا آسف، كنت خايف يحصلك حاجة.
- وتخاف عليّا ليه، إذا كان أنا مش خايفة على نفسي!
- ومش خايفة على نفسك ليه؟
- عشان ماعنديش حاجة أخسرها، الواحد بيخاف لو عنده حاجة هيخسرها، بس أنا معنديش.
- ممكن تبطلي شرب، كفاية كدة، هتتعبي.
- وانت مالك قولت! هو أنا أهمّك في حاجة يا كائن انت؟
- لو قولتلِك تهميني تفرق؟
- هيهمك ليه ها؟ هفرق معاك ليه؟ أنا مابفرقش مع حد.

- هتفرقي معايا عشان لو موتّي من كتر الشرب النهاردة هتحاسب قدام ربنا إني سيبتك تشربي.
- و انت حد من أهلي عشان كدة هتكون مسؤل عني؟
- أرجوكي يا...! ممكن أعرف اسمك؟
- اسمي الحقيقي ولا اسمي اللي اخترته؟
- الحقيقي.
- لوسين، اسمي لوسين.

بعد برهة واصلت فيها السيارة المسير توقف إلى جانب الطريق.
لوسين:

- خلاص وصلنا؟
- آه وصلنا المكان ، بس لسة هنمشي شوية عشان نوصل المكان الأساسي، استني في العربية هعمل حاجة.

نزل وذهب مسرعًا وفتح لها الباب:

- اتفضلي يا ملكة الظلام.

ضحكت برقة:

- انت لو عاوز توقعني بطريقة دي، فانت على وشك النجاح.

ضحك لها:

- لا عمري ما هسيبك تقعِي، هساعدك لحد ما تقفي بس.

نظرت له بحب، وضع يديه على عينيها:

- المكان دة مفاجأة.
- إيه يا عم الجودة؟!

ظل طول الطريق مغمضًا لعينيها:

- وصلنا خلاص.

فتحت عينيها بسرعة؛ لترى المكان، نظرت حولها بدهشة واستغراب، ثم نظرت له، وجدته ينظر على شيء محدد، ذهبت بنظرها لموقع نظره، اتسعت حدقة عينيها ونظرت له بسرعة:

- يا مجنون! أنا كنت فاكرة إنه كافيه عادي، ماكنتش أعرف إنه بيطّل على مصر كلها.
- المكان دة بحب أجيله لما أحس إني صغير أوي، أما الدنيا بتقفل في وشي، باجي هنا عشان أحس إني كبير والدنيا هي اللي صغيرة.
- انت مجنون عقليًا أقسم بالله!
- مش يمكن أكون أنا العاقل والناس اللي مجانين؟
- أنا آسفه إني قولت حاجة ضايقتك في العربية.
- لا أنا متضايقتش، بس لازم أفهم اللي حصل بالظبط عشان أعرف أرد عليكي.
- طيب أحكي ولا؟
- كلي آذان صاغية يا فتاة.

- بعيدًا عن الفصحى اللي بتقولها دي، أنا كنت قاعدة عادي في الكرسي اللي دايمًا بقعد عليه وجيه فجأة، في البداية كان بيتكلم بأسلوب زي الزفت وبتناكة، بعد كدة اعتذر على أسلوبه، وقال إنه كان عاوز يكلمني، دة معناه إنه ابتدى يقع، وكمان أخد الأكونت بتاعي، كل دة بيدل إنه وقع، آه طبعًا مش جامد بس وقع بجزء بسيط، و أنا كنت بتكلم بطبيعتي، ومحاولتش أتجمل أو أحط وش، إيه رأيك فيّا؟
- انتي برضه في لعبة يُقَع ومايوقعش؟ انتي برضه مصرّة على اللعبة دي؟
- لا انت فهمت غلط، أنا محاولتش أوقعه والله، أنا أقصد إنه ابتدى يُعجَب بيّا أو على الأقل فيه اهتمام إنه عاوز يعرفني!
- الكلمات والمعاني اللي بنستخدمها بتدل على اللي جوانا، بمعنى تاني كل كلمة أو مصطلح ليه فكرة في دماغنا متسجلة من زمان، مثلًا لو قولتلك بحر هتفكري في إيه؟
- هدوء، غموض، حزن!
- تحبي أقولك معنى اللي قولتيه؟
- أكيد!
- هدوء: بيدل إن البحر في موقف معين اتسجل في عقلك إنه هادي، وطبعًا دة مش حقيقة لأن البحر ساعات بيبقى هايج، غموض: دة بيدل على إن مزروع في دماغك من زمان إن احنا كبشر ماكتشفناش كل أسرار البحر، وحتى شاعرية شوية إن البحر بيحفظ الأسرار والبحر غامض زيّي والجو الرخيص دة، حزن: لأن أكيد كل مرة بتروحي فيها للبحر بتفكري في كل حاجة بتخليكي حزينة، فالبحر اتسجّل في

عقلك إنه حزين ومانناساش الحته الشاعرية البحر بيحس بيّا وبيواسيني بموجه، اللي عاوز أوصلهولِك كل حاجه بنقولها متسجلة في دماغنا، وليها فكرة معينة، إذا كانت كلمة أو مصطلح علمي، وطبعًا احنا بنتلقَى الكلام من أول ما اتولدنا، من أول كلمة (أنجغه) إلى آخر كلمة سمعتيها دلوقتي، اللي هي (دلوقتي)، بمجرد قول إنه ابتدى يقع ده يدل إن عقلك الباطن لسة بيستخدم الأسلوب دة، وممكن تفهمِّيني إزاي اتصرفتي بطبيعتك؟

- مالبستش وش، اتكلمت بأسلوبي العادي، بس بصراحة ماحكتش حاجة عني، أو الماضي بتاعي ولا حتى اسمي الحقيقي!
- ليه؟
- خوفت، وماتسألنيش خوفت من إيه!
- طيب ممكن تقوليلي كنتي بتفكري في إيه، عشان أعرف انتي خوفتي ليه؟
- فكرت إن ممكن ماأعجبوش، أو يفتكر إني حد مش كويس، معرفش!
- خايفة من حقيقتك، خايفة أمّا يشوفك من جوة يهرب، يعني برضُه لبستي وش، أنا مش بقولّك امشي افضحي في نفسك، لازم تعرفي امتى تحكي وامتى لا، محدش يتعدى حدودك النفسية أو الجسمانية تحت أي مسمى، لازم تعرفي رجلِك فين والناس اللي حواليكي فين، لازم يكون عندك حدود واضحة وصريحة، ممكن تقوليلي إيه هي حدودك؟

- إن محدش يلعب بقلبي، إن محدش يلمسني أو يتعدى حدوده في الكلام معايا، إن محدش يتكلم عليّا من ورا ضهري، على ما أعتقد همّا دول بس!

- همسكهم نقطة نقطة، محدش يلعب بقلبك، أولًا محدش يقدر يلعب بقلبك غير لو انتي سمحتي بدة، محدش يلمسك أو يتعدى حدوده في الكلام، تاني محدش يقدر يعمل دة غير لو انتي سمحتي بكدة، يتكلم بقى عليكي من ورا ضهرك دي مش بإيدك؛ لأن الناس بطبعها تتكلم، بس لو انتي زي الألف محدش هيقدر يقول عنك حاجة وحشة، بس لو انتي مش زي الألف على ما أظن هيكون عندهم كلام كتير يقولوه، أنا مش بقول أن اللي بيحصل دة صح، بالعكس إن الناس تحكم على بعض وتصنفهم على حسب فكرة أو نوع أو جنس أو شكل دة قمة في العنصرية، إنهم يقيدوا الناس بصورة معينة لو بنت بتشرب سجاير تبقى مش محترمة، لو الراجل مطوّل شعره يبقى عيل، ولو شاب مربي ذقنه يبقى إرهابي، والأكبر من دة كله لو شوفت واحد عربي في أوروبا يبقى إرهابي وهيفجر المكان، الناس بتحكم؛ لأن دي طبيعة البشر، في مصر وبرة مصر، الحل في الموضوع دة إنك تكوني و اثقة في تصرفاتك و أفعالك، وإن هي دي الأصح ليكي، وتحترمي مجتمعك بكل عاداته وتقاليده، بس ماتدفنيش نفسك عشان المجتمع، وبرضه هوضّحلك النقطة دي أكتر، العادات والتقاليد جات من الدين، طبعًا البشر حرفوا شوية في العادات وخلوها تخدم شيء واحد (مصالحهم)، اللي فيه مصلحة ليهم بيحرفوه، مثلًا هو ليه عيب الست تطلب الطلاق لو جوزها مش مكفيها، مع إن الدين بيسمح للمرأة إنها تطلق لو حسّت إنها مش مرتاحة مع جوزها، نفسيًا أو ماديًا أو حتى جنسيًا، دة حقها كامرأة خلقها الله وجعل لها حرية الاختيار، عارفة ليه؟ عشان يقعدوا

يقولوا حقوق المرأة ويقنعونا إن المرأة لازم تتحرر، وطبعًا هتتحرر إزاي؟ هتقلد الغرب، ومش الغرب المحترمين، لا إطلاقًا، أوسخ فئات الغرب، اللي هم أبعد أن يكونو قريبين من الدين بتاعنا وعادتنا وتقاليدنا، طبعًا أنا بقولك الكلام دة باختصار شديد عشان ماتزهقيش مني، لازم تحترمي دينك، ويتبع الدين العادات والتقاليد، وأول حاجة تحترميها نفسك، لازم تحبي نفسك وتحترميها، وبعد كده هتعملي كل حاجة فيها خيرومصلحة ليكي.

- انت شايف إني مش بحب نفسي؟
- مابتحبيهاش ولا حتى مثقال ذرة.
- طيب إزاي أحبها؟
- لازم تعرفي انتي عاوزة إيه، وبتحبي إيه، ولازم تعرفي حقوقك ومسؤولياتك، وتعرفي إنك تستاهلي، تستاهلي إنك تقولي لا وقت ما تكوني عاوزة، إنك ماتعمليش حاجة غصب عنك، إنك تستاهلي تتحبّي وتتقبّلي وتحترمي، دي حقوقك، ولما تكوني عارفة إنها حقوقك عمرك ما هتسمحي لحد يتعدى حدوده معاكي.

سعلت بشدة:

- يعني أنا مش عارفة حقوقي؟
- كفاية جلسة علاج لحد هنا، وتعالي نقعد جوة؛ لأن شكلك هتمرضي.
- لا كمل عشان خاطري!
- قولت كفاية، دة لمصلحتك.
- حاضر، بس خلينا في الهوا هنا، أنا مستمتعة جدًا.

- حاضر مع إنك ممكن تتعبي.
- قولت هتشربني حاجة ماشربتهاش في حياتي؟
- يبقى استنيني أقوم أطلبها، وأجيبهالِك لحد عندك!
- مستنياك.

نظرت حولها، نعم إنها أكبر من العالم، ولن تسمح للعالم أن يجعلها أصغر، لن تسمح له أن يشعرها بذلك، لمحَت من بعيد رجلًا وامرأة يضحكان في سلام، وفجأة قام الرجل بتقبيل رأس تلك المرأة، احمرّت وجنتين المرأة وفي ثو اني قبلت يديه بخجل...

فهد:

- مركّزة مع خلق الله ليه؟

أحرجت منه:

- لا عادي، بس شكلهم حلو.
- طبعًا شكلهم حلو، بس دة مايمنعش إن فيه أيام بتعدي عليهم بتكون صعبة.
- هي ليه الحياة كده؟
- قصدِك إيه؟
- أقصد ليه في حزن وزعل وخناق، ليه الدنيا مش كلها سعادة وخير؟
- فيه قاعدة ثابتة، عشان نحس بالفرح لازم نحزن، عشان نحس بالرضا لازم نزعل، وعشان نحس بالحب لازم نتخانق.
- ومين العبقري اللي حطّ قاعدة متخلفة زي دي؟

- أنا!
- ومن امتى وحضرتك فيلسوف؟
- طيب تحبي أقنعك؟
- أكيد!
- تعالي نفترض إنك مكتئبة وكل حاجة حواليكي ماشية العكس، وفي عز اكتئابك حد جيه واداكي وردة صغيرة وقالّك ماتزعليش، ومشي على طول، هل هيكون نفس إحساسك لو انتي مبسوطة وطايرة من الفرحة، طبعًا لن تتساوى المشاعر، تخيلي اتخانقتي انتي وحد عزيز عليكي، وكلمتوا بعض وضربتوا بعض بالجزم، وفي آخر الخناقة قالّك على فكرة أنا باقي عليكي وبحبك، هل هيكون نفس إحساس لو انتوا سمن على عسل، عمرك ما هتحسي بحلاوة الحياة من غير صعاب، أعظم علماء العالم عاشوا حياة قاسية جدًا، واختبروا ظروف صعبة، بس الفرق بقى إنهم ماستسلموش، حاربوا ظروفهم وقاوموها، عشان كدة عرفوا معنى الحياة، فيه حد بيقول لو انت فضلت فترة كبيرة محدش قالّك إنك مجنون، يبقى انت مابتقدمش تغيروووجودك مش ظاهر، ها اقتنعتي؟
- بصراحة! جدًا.

****

فتح موقع (الفيسبوك) حاول جاهدًا أن يقاوم تلك الرغبة الملحة لكن لم يستطع، بعث لها رسالة وأغلق صفحته بسرعة، لا يدري لماذا يتصرف

كالأطفال، أقنع نفسه بأنها فقط تحمل نفس تفكيره وهذا شيء مريح له، و أنه يريد أن يصبح له صديقة مقربة يشاطرها أطراف الحديث.

****

فهد:

- انتي شكلك تعبان، تحبي أخدِك على البيت؟

لوسين:

- لا أنا كويسة، يمكن العصير الغريب اللي شربته ده تعبني!
- يا بنتي دة عصير اسمه (فخفخينا) حاجة عريقة، بتاعت المصريين الأصال، ولا انتي أجنبية و أنا مش عارف؟
- بطل غلاسة، وبعدين أنا مصرية أكتر منك، أنا سافرت برة مصر بتاع خمس مرات بس.
- في دي عندك حق، بس انتي بجد شكلك تعبان.
- أنا قردة ماتقلقش، يمكن جالي برد بس.
- طيب أنا هطلب الحساب، عشان انتي وشك أصفر.
- طيب!

ذهب مسرعًا ليدفع الفاتورة وهو قلق عليها، ملامحها لا تبشر بخير.

- لوسين، يلا بينا؟
- طيب.

ذهبا إلى السيارة، وطوال تلك المسافة فهد ينظر إلى لوسين، لا تبدو بخير، تترنح يمينًا ويسارًا، تكاد أن تسقط في أي لحظة، ركبت السيارة وضمّت قدميها إلى صدرها.

- انتي كويسة؟
- أه، ماتقلقش.
- أنا هاخدك على أقرب مستشفى.
- لا مش بحب المستشفيات، هو شوية برد وهيروح.
- اديني إيدك.

شعر بضعف نبضها، وضع يديه على جبينها، حرارتها عالية جدًا، كاد أن يضع أذنيه على صدرها لكن تدارك نفسه.

- لازم أخدك على أقرب مستشفى ممكن تكون جاتلك نزلة شعبية، وممكن تقلِب على تعب شديد هيدوم أسبوعين.
- مش بحب المستشفيات، اعملّي انت اللازم، مش انت دكتور باطنة؟
- ماأقدرش، ماعيش سماعة وماعيِش كشاف.
- عندي سماعة في البيت بتاعة مقياس الضغط، تنفع؟
- آه تنفع.
- رجعني البيت يا (محيط)، واعمل اللي المفروض تعمله.

أدار محرك السيارة وانطلق مسرعًا مجاوزًا كل السيارات، يسابق الزمان، نظر لها بحنان، وجدها نائمة كطائر فقد أحد جناحيه....

- حلو اسمك على فكرة.
- بيقولوا اسمي مميز، معناه القمر!
- ممكن كفاية شرب يا قمر؟
- انت فاكر إني فرحانة بالشرب، أنا بشرب عشان أنسى.
- تنسى إيه؟
- أنسى إني قمر.
- للدرجة دي بتكرهي نفسك؟
- وبكره اللي حوليّا كمان، يعني بكرهك أنت كمان.
- انتي سكرانة جدًا، ممكن تيجي معايا في مكان تاني؟
- انت فاكرني من البنات دول، انسى يا بابا، أنا كاسرة قلوب الرجالة، مش أنا اللي أروح مع راجل مكان، أنا آه بشرب لكن أنا أنضف من كده!
- أنا عمري ما فكرت في حاجة زي دي، وبعدين إيه اللي دخل الشرب في عدم النضافة، أنا كنت عاوز أخدك مكان هادي و أفوقّك من السكر دة.
- هروح على شرط؟
- اتفضلي.
- تسمعني للآخر وبعدين تختفي.
- حاضر.
- وحاجة تانية، إوعى تفوّقني، عشان لو فوقت مش هعرف أتكلم.
- حاضر.

****

أغلق السيارة، وذهب إلى مقعد (لوسين):

- احنا وصلنا، هتعرفي تمشي؟

أجابته بضعف:

- آه هعرف، مفاتيح الشقة أهي.

أخذ بيدها لكي لا تسقط، وصل إلى باب منزلها وفتحه:

- انتي أوضتك فين؟
- هناك أهي.
- طيب روحي افردي جسمك عقبال ما أنزل أشتري كام حاجة!
- طيب.

ذهبت إلى غرفتها وارتمت على سريرها، و انطلق هو لكي يأتي باللازم.

****

فهد:

- عاوز الأدوية دي، وسرنجتين من فضلك!

الصيدلي:

- حاضر يا فندم.

أخذ الأدوية واشترى بعض الخضروات وذهب راكضًا إلى المنزل.

فهد:

- لوسين، سمعاني؟
- آه، لسة مامتش ماتخافش.
- ممكن تاخدي الدوا دة، عقبال ما أعملك شربة؟
- انت عارف إنك أول راجل يخشّ شقتي!
- مش وقت هزار انتي ممكن تموتي دلوقتي.
- يااه هموت وفيه راجل في شقتي! هزلت!
- قولتلك مش وقت هزارِك دة، انتي نبضك ضعيف ولازم تاخدي الدوا دة، وبعد أما تاخديه هتاكلي وهديكي حقنة.
- مابحبش الحقن، وبخاف لو ماشوفتهاش بتدخل!
- هديهالك وريد مش عضل، يلا ابلعي الدوا.

أخذت الدواء، ورشفت القليل من الماء، وذهب فهد لإعداد بعض الحساء؛ لكي يساعد جسدها على مقاومة المرض.

اجتاح صدر (لوسين) ذكريات مؤلمة، كم تفتقد والدتها، وحنانها عندما تقوم بتمريضها، وكلماتها المواسية، وحضنها الدافئ المليء بالأمان، كم تفتقد رائحة منزلها، وصوت قطتها، وأحاديث أختيها، تفتقد سريرها الصغير البالي، وغرفتها المتهالكة، تفتقد روح تلك الطفلة البريئة الذي وُئِدت هنالك، شعرت بأقدام قادمة:

- فهد!
- يلا عملتلك الشوربة، صدقيني هتعجبك؛ لأني طباخ ماهر.

- عاوزة أموت.
- انتي مش عاوزة تموتي، انتي بس عاوزة ترتاحي، ممكن يلا تاكلي؟
- مش عاوزة آكل، عاوزة أموت.
- ممكن ماتخرّجنيش عن شعوري، أنا هأكلك.
- أنا آسفة، أنا عارفة إني غبية.
- انتي مش غبية، انتي بس تعبانه شوية، يلا كلي.

أطعمها بيديه إلى أن أنهت الحساء كاملًا، بدأ بإعداد الحقنة وهو ينظر لوجهها، تملك عيونًا جميلة، لكن وجهها شاحب، وكل دقيقتين تسعل بشدة، ذهب بجانبها وأمسك بيديها:

- أنا هديكي الحقنة أهو.
- أنا بردانة جدًا!
- الحقنة دي هتخليكي زي الفل، خُدي نفس.

لم تأخذ شهيقًا، فقط نظرت إلى الإبرة وهي تدخل في يدها، لم تتحرك ولم تتألم؛ لأن بداخلها ألم أعظم من تلك الإبرة السخيفة.

- انتي هتنامي دلوقتي، هعملك كمادات عشان الحرارة تنزل بسرعة.
- أنا و اثقة فيك.....

أغمضت عينيها، ذهبت لذلك العالم الذي لا يعرف حدود، وتركته في عالم الو اقع، استرق النظر حوله وهو يعتني بها، وجد في زاوية الغرفة فستان زفاف، والكثير من أعقاب السجائر تحيط بالغرفة كلها، وأوراق ملقاة على الأرض بإهمال، والعديد من العطور ومساحيق التجميل الغير مرتبة، وصور

لفرقات موسيقى الروك، صور لأفلام كرتونية يابانية، وبعض الجمل الغير مفهموم مغزاها (موت علشان ترتاح)، (أبحر معي في الظلام) ، (ماشي بدون قدم مسنود على العدم)، من الواضح أنها تعني لها شيئًا، نظر حوله وجد أن الغرفة لونها أسود، تأكد من أنها نائمة وحرارتها بدأت في الاعتدال، أخذ جولة أعمق في غرفتها، أمسك بورقة على الأرض وفتحها بعناية (أنا مين؟)، لم يفهم ماذا تعني، لكن أخذ ورقة أخرى (هو أنا عايشة بجد ولا دة حلم طويل شوية)، أخذ بفتح كل الأوراق، وير اقبها لكي لا تستيقظ، لم يعد يفهم تلك الفتاة، هل هي طبيعية أم مريضة، تدل الأوراق أن صاحبها يعاني من هلاوس، رأسه يصرخ، لكن ملامحه مذهولة، كيف يمكن أن تكون تلك الفتاة بهذه البراءة، حتى أنها تكتب بعض شارات الكرتون، صار متعطشًا لكي يعرف المزيد، لكن خوفه منعه، سوف تستيقظ في أي وقت الآن، جلس بجانبها وأعاد كل قصاصات الورق إلى مكانها.

حلمت بأنها على متن مركب يصارع موج الليل، والمياه باردة حد التجمد، وضوء خفيف يطل من بعيد، وتقترب هي منه ببطء، وعندما همَّت بلمس الضوء، فتحت عينيها، وجدت نفسها نائمة على سرير بملابس البارحة، وخرقَة قماش على رأسها، نظرت حولها لم تجده، عرفَت أنه رحل بعدما اطمأن عليها، قامت وهي لا تزال ضعيفة وبدأت بتغيير ملابسها، شعور بالعطش رهيب، أخذت البنطال وسترتديه بعد أن تروي عطشها.

- انتي صحيتي؟
- انت لسة هنا! افتكرتك مشيت.

أشاح بنظره بعيدًا عنها:

- مش واخدة بالك إنك مش لابسه غير تيشرت جدك بس؟

نظرت لنفسها، نعم إنها ترتدي فانلة واسعة وطويلة، وأيًا يكن، لكن لماذا البنطال في يديها، ولماذا ساقاها عارية، نعم من المفروض أن أرتدي البنطال، لكن الشعور بالهواء يلامس ساقيك شعور رائع، لماذا فهد أشاح بنظره عني؟

ركضت مسرعة إلى غرفتها وهي تصرخ، وأغلقت الباب خلفها بقوة، مات فهد ضاحكًا على بُطء استيعابها، ومنظرها بفانلة واسعة وطويلة، تكاد أن تكون فستانًا عليها، أكمل إعداده للطعام إلى أن تستفيق من ذلك الموقف المحرج.

لوسين مخاطبة نفسها:

- هو شافني بالمنظر دة! يا متخلفة يا غبية يا هبله يا حمارة، هطلع أنا إزاي دلوقتي، لكن عندما أمعنَت النظر، ما أنا بلبس أقصر من كده، إيه الهبل ده، بس تلاقيه بيقول دلوقتي مين المتخلفة اللي بتلبس تيشرت شحاتين، يا غبائي...

جاء صوت فهد مقاطعًا حديثها:

- على فكرة أنا سامع كل كلمة، وبعدين شكلك كان يضحك فعلًا، يلا البسي البنطلون وتعالي، هتلاقي البنطلون في إيدك!

وجدت البنطال في يديها، ارتدته وخرجت، وفي عقلها مليون سيناريو لقتله. ليأتي صوتها:

- على فكرة بقى التيشرت دة بتاعي مش بتاع جدي، و أنا كنت فاكراك مشيت.
- يلا اقعدي كلي وبلاش رغي كتير، أنا مانمتش من امبارح أصلًا.
- انت يا كائن يا بارد.....

فهد قاطعًا:

- والله قمر و انتي بلبس الشحاتين، ولو عندك لبس شحاتين تاني هاتي وهكون شحات زيك، ممكن تاكلي عشان جسمك محتاج غذا؟

ضحكت:

- انت مش عندك شغل، ليه فضِلت معايا؟
- كلمتهم ولغيت كل مواعيدي لمدة يومين.
- نعم! ليه؟
- عشان هقعد عندك في البيت اليومين دول.
- أحم ، أنا خلاص بقيت كويسة.
- أنا مش هقعد عشان انتي مريضة، أنا هقعد عشان هغيّر أسلوب شقتك؛ لأن من ضمن سبب اكتئابك الشقة دي!
- مالها شقتي؟!
- أوضتك لونها أسود، مليانة كلام كئيب، ومليانة ذكريات سلبية، وطبعًا ما خفي كان أعظم!

- انت فتشت في أوضتي؟
- لا بس غصب عني و أنا بعملك كمادات عيني جات على كل حاجة!
- تحب تشوف كل حاجة فعلًا؟
- لو انتي مستعدة؟
- على شرط.
- عاوزة تسكري قبل ما توريني! صح؟
- إزاي عرفت؟
- عشان أنا عارف دماغك بتفكر إزاي، وحاضر هسمحلك تشربي، بس أنا مش هشرب.
- ليه؟

أراد أن يقول لأني أخاف عليكي من نفسك ومني، لكن فقط قال:

- عشان مابشربش غير في البار، مابحبش أشرب في بيت.
- براحتك! معايا نوع عمرك ما هتشوف زيه.
- و انتي فاكرة إني ماجربتش كل الأنواع، أنا جربت خمرة اليابان وكوريا.
- هو محدش يعرف يغلبك!
- وليه تغلبيني حد في الغلط، اغلبيني في حاجة صح، يعني اغلبيني في استقراري النفسي، أو اغلبيني في علاقاتي مع الناس، ليه تغلبيني في حاجة غلط، خمرة!
- عشان أنا عمري ما هوصل ليك في الصح، أنا أصلًا كلي غلط.

- مش يمكن انتي أحسن مني في حاجات تانية، مثلًا براءتك!

- أنا مش بريئة، أنا حد وحِش.

- مش كفاية بقى تقليل في نفسك، امتى هتعرفي إنك حد كويس بس محتاج مساعدة، امتى هتتأكدي إنك حد نضيف لكن الدنيا هي اللي أثّرت عليه، وهو أما كبر سمَح إنهم يأثروا عليه أكتر، امتى هتعرفي تحبي نفسك عشان الناس تحبك، امتى يا لوسين هتعرفي إنك نضيفة وإنك اتظلمتي، امتى هتعرفي حقوقك، لحد امتى هتسلمي نفسك فداءً لمرضك، وتخليه يتحكم فيكي....

قاطعته وهي في ذهول:

- هو أنا مريضة؟

هدأت نبرة صوته:

- مريضة في السجن اللي في عقلك، السجن اللي بيقتلك كل يوم وانتي نايمة ويخليكي تهلوسي حتى في أحلامك!

- كلامك دة بيدل إني مريضة نفسية!

- ومين فينا مش مريض نفسي، كل البشر مرضى نفسيين بس بتفاوت حدة المرض، انتي خليتي مرضك يسيطر عليكي ويتحول لوحش بياكلك وبياكل كل لحظة حلوة في حياتك، وكل حاجة نفسِك فيها بيحولها ضدك، انتي خليتي الوحش يسيطر عليكي.

كادت أن تبكي لكن قاومت دموعها:

- لو أنا فعلًا مريضة، أكيد مرضي له اسم؟

صمت قليلًا وأردف:

- أنا مش دكتور نفسي عشان أشخّصك، بس أنا متأكد إنك لازم تروحي لدكتور نفسي!
- لو آخر يوم في حياتي مش هروح، مش عشان أنا زي الفل ومش محتاجة مساعدة نفسية، عشان همّا زمان ودوني عند دكتور نفسي، وكان بيجبرني آخد أدوية، وكان بيتحكم في حياتي، واعملي كدة وكدة.
- ما أنا بعمل كدة معاكي؟
- بس انت مش دكتور نفسي، وكمان انت صاحبي.
- ولو حوّلت وبقيت دكتور نفسي عشانك، هتخليني أساعدك؟
- لو اتقلبِت السماء على الأرض ما هخليك توجّه لي كلمة حتى.

كانت تلك هي فرصته لكن ردها قاتل:

- خلاص مش هحوّل، بس لازم تروحي لدكتور نفسي.
- مش أنت بتقرا في علم النفس، عالجني انت، أنا بثق فيك.
- يبقى يلا وريني أسرارك.
- ثواني أجيب الوسكي.

أجابها على مضض:

- طيب.

خرجت من المطبخ وفي يديها زجاجة من الخمر، وكأسين.

- هو انتي جايبة كاسين ليه؟

- عشان لو غيّرت رأيَك.
- انتي مش خايفة على نفسك، يعني مثلًا لو شربت وسكرت مش ممكن أعمل حاجات وحشة؟
- أولًا أنا واثقة فيك بدرجة كبيرة، ثانيًا انت لو كنت عاوز تعمل حاجة أكيد كنت عملتها في أول مرة قابلتك.
- أقنعتيني، بس برضه انتي ليه مش بتخافي على نفسك، أقصد في كل حاجة؟
- عشان ماعنديش حاجة أخسرها.
- قولتيلي الجملة دي قبل كده، قبل ما تقولي امتى، أول يوم شوفتك فيه.
- أصل هخسر إيه، يعني تعالى احسبها، هخسر إيه؟
- هتخسري نفسك!
- وانت فاكر إني ماخسرتهاش.
- لا ماخسِرتهاش، وأكبر دليل إنك عاوز اني أساعدك، وعاوزة تتغيري.

ابتلعت كأسًا كاملًا دفعةً واحدة:

- ما كل مرة بتقولّي أعمل حاجات برجع أبوظ الدنيا!
- عشان مش من يوم وليلة هتقدري تتغيري، مش من يوم وليلة هتقدري تموّتي الوحش اللي جواكي، الموضوع بياخد وقت، ويمكن سنين كمان.

أجابت باستهزاء:

- هههههه سنين، دة أنا أموت أسهل بقى.

أخذت كأسًا آخر:

- تعالى أوريك أسراري!

ذهبت إلى غرفتها دون أن تنطق بحرف، يتبعها بهدوء، هل حقًا سيعرف أسرارها بهذه السهولة، هل حقًا تثق به بهذا القدر، لماذا تصعّب عليه الأمر، فتحت خزانتها وأخرجت صندوقًا عريقًا، وأخذت فستانًا من زاوية الغرفة، وأخرجت من الدرج مذكرة وبعض الأوراق، وبكل قوة و انكسار ألقت بهم على الأرض.

- همّا دول أسراري، افتحهم ولو مافهمتش حاجة اسألني، أنا طالعة البلكونة أشرب بقية الإزازة، أما تخلصهم كلهم تعالى.

حاول أن يقول شيئًا لكن ذهبت مسرعة، نظر لتلك الأشياء بذهول، ونظر لها وجدها جالسة على الأرض ومحتضنة فخذيها، فتح الصندوق بحرص، صورة لطفلة صغيرة بابتسامة أكبر منها، صورة لامرأة جميلة ذات ملامح مريحة، بعض الألعاب القديمة وحلق صغير جدًا، ورسالة، بحث جيدًا لكن هذا كل شيء، فتح الرسالة؛ لأنها تبدو مهمة

((إلى حبيبتي وزوجتي المستقبلية بإذن الله لوسين، كم يصعب عليّ أن أكون في بُعدك خصوصًا في لحظات احتياجك إليّ، ولكن هذه هي ظروف الحياة، وعلينا أن نكون أقوياء ونتقبلها كما هي، أود أن أهديكي نصائح وكلمات لعلها تكون سببًا في أن تكوني أفضل، ولعلها تكون سببًا في سعادتك:
١- الصلاة الصلاة الصلاة فهي عماد الدين ولا حياة بحق بدون الصلاة

يا روح قلبي، ٢- أن تكوني نفسك ولا تحاولي إرضاء الآخرين بتغيير نفسك حتى أنا عبدالحي، ٣- أن تفكري جيدًا وتحلّلي جميع قراراتك قبل تنفيذها؛ فالخطأ يكون في لحظة والندم يكون لسنوات، ٤- أن تنتبهي جيدًا لمصلحتك، وكلمة مصلحتك تعني صحتك ودراستك وأي شيء يكون سببًا في تقدمك للأفضل، ٥- لا تضيعي وقتك أبدًا أبدًا أبدًا استغلي وقتك في شيء مفيد دائمًا و أبدًا، ٦- أولًا وأخيرًا خافي من الله في جميع أفعالك؛ فإنه يراكي دائمًا ٧- هذه الرسالة هدية لكي كي تتعلمي الصبر... حبيبك إلى الأبد (عبد الحي)))

تبدو تلك الرسالة من حبيبها، كم يود أن يذهب الآن ويحتضنها بين ذراعه؛ لأنه على علم بأنها تبكي الآن، يريد أن يعوضها عن كل ذلك العذاب الذي ذاقته إلى أن أصبح طعمه مثل الماء، أغلق الصندوق وفتح الورق، بعض الكلمات الغير مفهومة مرة آخرى، (يارب خدني ليك؛ لأني تعبت ومش قادرة حتى أشتكي ليك) ، (ليه بيحصل معايا كدة) ، (و أنت ترى الموت بعيدًا و أنا أراه أقرب لي من ظلي) ، (اشرب وطير في السما اشرب و انسى، اشرب عشان تعرف تعيش)، (الموت يعيدك لأصلِك، بس انتي موتِك معصلج) ، (ويضيق بك الكون رغم وسعه، ويضيق بك منزلك رغم دفئه، ويضيق بك صدرك رغم خفقان قلبك، وتضيق بك الدنيا ويصبح حالك مثل إنسان بروح فارغة)، إنها حقًا تعاني من اكتئاب حاد، لكنها تملك ذوقًا جميلًا في وصف مشاعرها، لم يكمل باقي الأوراق؛ لأنه فهم مضمونها، فتح المذكرة، مذكرة عادية لكن هناك بعض الصفحات ذات بروز، فتح أول صفحة (النهاردة هتكوني سيبتي بيت أهلك، افتكري يا لوسين إنك قوية و إنك هتقدري، إوعي تخلي حد يقولك إنك ضعيفة، كل أمّا تبقي عاوزة ترجعي بيتك افتحي الورقة دي، افتكري بهدلوكي قد إيه) ، (لوسين، إوعي تفكري تسلمي قلبك تاني، لوسين إوعي تنسي إن كلهم كلاب، لوسين انتي قوية و انتي لوحدك، لوسين انتي هتخليهم كلاب تحت رجلِك وهتدوسي عليهم بالجزمة، لوسين إوعي

تنخدعي بكلامهم مهما قالولِك، كلهم بس عاوزين يكسروكي) ، (من لوسين إلى فاطمة؛ انتي حد جديد يا فاطمة، انتي حد قوي وعمرك ما هتكوني ضعيفة، فاطمة حبيبتي لو في يوم ضعفتي اكسري نفسك بس ماتتكسريش، فاطمة انتي جوهرة غالية والكل نفسه ياخدك، إوعي تسمحي لحد يمتلكك، انتي ملك نفسك، فاطمة انتي قوية وعمرك ما هتكوني ضعيفة؛ أنا جنبك، فاطمة حافظي على قلبك، فاطمة احميني واحمي نفسك؛ لأننا واحد)، هل من الممكن أن تكون قد خلقَت فاطمة؛ لكي تحميها، هل تعاني من تعدد الشخصيات، نظر لها، من تلك الفتاة؟ من فعل بك هذا؟ كيف! كيف وصل إنسان لتلك الحالة؟! خلقتِ فاطمة لتحميكي؟! أم هذه مجرد رسائل ساذجة؟ ما الذي مررتِ به أوصلكِ لحافة الجنون؟ هل هي حقًا تعاني من مرض لم يتم التعرف عليه؟! لم يستطع مقاومة نفسه، ذهب إليها مهرولًا.

- فاطمة!
- خلصت؟
- مين فاطمة دي؟
- ده اسمي اللي اخترته لنفسي.
- عارف، أنا أقصد فاطمة شخص عايش جواكي؟
- فاطمة دي الإعلامية الناجحة، اللي كل الناس عاوزاها وبتجري وراها.
- يعني فاطمة دي عايشة، يعني ممكن تتحكم فيكي؟
- انت هتبوّظلي الدماغ، لأ فاطمة مجرد اسمي الجديد، ماتقلقش معنديش شخصيات عايشة جو ايا، عندي بس وَحش!

تنفس الصعداء:

- ممكن أعرف ليه محتفظة بالرسالة دي؟
- عشان دي كانت أول رسالة وآخر رسالة، كتبتها لما أهلي عرفوا وخلوا صاحبتي تديهاني.
- انتي لسة بتحبيه؟
- لو رجع بيا الزمن لورا، تحديدًا أول مرة شوفته فيها، هتف في وشه وأمشي.
- ممكن أسمّعك أغنية؟
- اعمل اللي تعمله.

" أمل تألق وارتقى
مثل النجومِ محلقا
في وسط قلبٍ في الهمومِ تمزقا
قد كنت وحديَ في المسير
في الحزنِ عشتُ كما الأسير
حتى رأيتُ الزهرَيُزهرها هنا
فبدأتُ أركضُ نحوه
و بدأتُ ألثمُ عطره
حتى شعرتُ بقيدِ حُزنيَ ينكسر
لكن صباحيَ لم يَطل
فالليل في الأجواءِ حَلّ
و الغيمُ غطَّى كل شيءٍ في المدى

فحنيت رأسيَ يائسًا
و بدأتُ أبكي جالسًا
حتى أتى بعضُ النسيمِ مُواسيًا
فسمعته يقولُ لي
الغيمُ حتمًا ينجلي
و الشمسُ في جوفِ الظلامِ ستنتصر
أَصغي لنصحيَ لا تَمَل
فالنصرُ إيمانٌ عمل
من نفسكَ كُن و اثقًا وبِلا وَجل
لا لا تقل هذا مُحال
أو ذاكَ ضربٌ من خيال
كُن ثابتًا كُن راسخًا مثلَ الجِباااااال
فَجعلتُ أنظرُللسماء
و سَرحتُ في هذا الفضاء
فبدا الغَمام يزولُ يُظهرُلي القمر
و بَدت نجومٌ حَوله
و بدأتُ أَلْقَى حبه
فأشعَ نحويَ في ضياءٍ و ابتسم
فشعرتُ في نفسي الأمان
و سمعتُ ألحانَ الكَمان
و لقدْ توقف لحظةً، عِندي الزمان
فَعرفتُ أنَّ حياتنا

ليست سوى بعضِ المُنى
مبنيةُ في قلبنا مِثل الجُمَل
حتى نُحققها نُريد
آمال قلبٍ أن نعيد
حتى تصيرَ حياتنا في الكونِ عيــد
حتى نُحققها نريد
آمالَ قلبٍ أن نعيد
حتى تصيرَ حياتنا في الكونِ عيــد
أملٌ تألقَ وارتقى
مثل النجومِ محلقا
في وسط قلبٍ في الهمومِ تمزقا"

فهد:

- نفسي أكون أنا الأمل اللي في حياتك، وأوعدك عمري ما هكسرك، ورحمة أخويا ما هكسرك.
- الأغنية حلوة!
- ورحمة أخويا (مروان) عمري ما هكسرك.

لم ينتظر إجابتها وضمها إلى ذراعيه بقوة.

- عيطي لو عاوزة، هفضل حاضنك لحد ما تخلصي عياط.

أجهشت في البكاء، وضمته إليها أقوى، بكت بحرقة وانكسار، بكت وأرادت أن تموت وهي في هذا الحضن الدافئ، بكت كما لم تبكي من قبل، بكَت بكل صدق هذه المرة، بكت بجوارحها قبل عينيها، بكت وهي تدعو أن لا يكسر

قلبها هو أيضًا، بكت لأنها حقًا ضعيفة، بكت إلى أن نفذت عينيها من الدمع، بكت.

- انت دلوقتي عرفتني كويس، ماتكسرنيش.
- عمري ما هكسرك، لأني.....

قاطعته:

- أنا بحبك يا محيط.
- وأنا كمان بحبك، حقيقي أنا بحبك، وعشان كدة لازم أقولك الصراحة،

نظر للسماء:

- أنا دكتور نفسي، وبصراحة في البداية كنت عاوز أساعدك لمجرد إني لقيتك حالة ممتازة للبحث بتاعي، بس بعد كدة لقيت إني بفكر فيكي كتير، وبكون فرحان وأنا معاكي، وخوفي عليكي امبارح ماكانش خوف عادي، حتى دلوقتي ماشربتش عشان خايف عليكي مني، واتضايقت إنك فرحانة بالواد اللي قابلتيه دة، أنا مش عارف أنا بقولك كل دة إزاي بس أنا بجد.. بحبك يا لوسين.

ظل ناظرًا للسماء ومنتظرًا ردها، لكن لم تعطيه أي رد، حرك عينيه ببطء تجاهها، وجدها نائمة بين يديه، هل سمعته، أم كان يخاطب نفسه، ضحك على نفسه، حتى أول اعتراف له فشل فيه، كم أنا خاسر، حتى إذا سمعته لن تتذكر شيئًا مما قال، ضحك على سذاجته، حملها إلى السرير، وأخذ الورق والمذكرة والرسالة والفستان، والورق الذي كان على الأرض،

وضعهم في حقيبة سوداء، ونظّف غرفتها من أعقاب السجائر، أغلق الضوء وتركها تنام بسلام، وخرج واستلقى على الأريكة في الخارج.

(إذا أردت أن تعرف الحقيقة من شخص ما... اطلبها منه وهو مخمور أو حزين)

في تلك الليالي الباردة تشتم عبق ذكريات قديمة، تنبش فيها كطفل يبحث عن لعبته، تحاول أن تجد ذكرى تنشلك من حزنك، تبحث بكل ما أوتيت من قوة، لا تجد ذكرى سعيدة، وكل ما يجده الطفل هو لعب محطمة.

قام فهد بتنظيف المنزل من كل شيء، أعد بعض الطعام الخفيف، طرق باب غرفتها بهدوء:

- انتي صحيتي ولا لسة! لو صحيتي أنا عملتلك فطارومستنيكي.

لم تجبه، إنها المرة الثالثة يطرق عليها الباب، هل هي بخير؟

- لوسين، ممكن تطمنيني!

لم تجب، فتح الباب بعجل، نظر لها بتمعن، إنها تتنفس بصعوبة، وجسدها يقشعر، جلس على طرف السرير، أمسك بيدها:

- أنا معاكي ماتقلقيش، عارف إنك في حلم وحش دلوقتي، بس أمّا تصحي هتلاقيني.

إنه لا يخاطبها هي، بل يخاطب عقلها الباطن، بعد أن أنهى تلك الكلمات عاد جسدها للارتخاء، عندما كاد يخرج من الغرفة قالت له بصوت رقيق:

- صباح الخير!
- صباح النور
- شكلَك مرتاح.
- أكيد مرتاح و أنا معاكي.

لم تفهم لماذا قلبها يمغصها عندما سمعت كلماته:

- و أنا كمان برتاح و أنا معاك.
- يلا عملتلك فطار خفيف عشان شربتي كتير امبارح.
- هو حصل إيه امبارح، وفين الفستان، إيه ده انت نضفت الأوضة؟
- أولًا نضفت البيت كله، ثانيًا أخدت الفستان والرسالة ومذكراتك والورق اللي على الأرض.
- ليييه؟!
- هاخدهم معايا فترة، لحد ما تقفي على رجليكي؛ لأن الحاجات دي مش هتخليكي تتقدمي، بالعكس هتشدك لورا.
- حاسة إني مكسوفة دلوقتي.
- أكيد هتكوني مكسوفة عشان أنا دلوقتي بقيت عارف جزء كبير منك، فطبيعي هتكوني خايفة ومكسوفة، يلا بلاش كسل كل يوم، وقومي كُلِي معايا.
- انت كنت مستنيني كل دة، الساعة بقت أربعة العصر!
- ماأقدرش آكل و انتي مش معايا.

ما خطبه؟! لماذا يستمر في جعل قلبها ينبض؟

- هقوم أهو بس هاخد دوا عشان مصدعة.
- و أنا مستنيكي برة.

خرج وأغلق الباب خلفه، لماذا قلبي يدق بطريقة غير منتظمة؟ لم تهتم وفتحت موقع (الفيس بوك) توجد رسالة، فتحت الرسائل، إنها رسالة من مصعب: (لو فاضية في يوم تعالي نتقابل في الكافيه بتاعنا)

لم تحرك الرسالة بداخلها أية مشاعر، فقط ابتسمت وبعثت له رسالة بالمو افقة، لكن لم تكن سعيدة بها ولا حزينة أيضًا.

- يخربيتك انت نضفت البيت كله، أنا أول مره أشوفه كدة.
- أنفع ست بيت يعني؟
- أحلى ست بيت كمان.
- يلا تعالي كلي.

بينما وهي تأكل، سرحت قليلًا في مشاعرها، لماذا لستُ سعيدة برسالة مصعب؟! ولماذا انطفأ الشغف بداخلي، وكيف لي أن أجيبه بذلك البرود، هل من الممكن شعوري بأنه قد سقط في شباكي أفقدني الشغف؟! ولماذا قلبي يعتصر عندما يخاطبني فهد؟ هل من الممكن أن أكون قد وقعت في.....

- مالك سرحانة في إيه؟
- عادي، دماغي وجعاني شوية.
- تحبي أعملك مساج؟
- وهو فيه مساج للصداع؟
- فيه مساج لكل حاجة في الجسم، زي العلاج الطبيعي كده.
- ماشي.
- مالك يا لوسين مستسلمة كدة ليه، من امبارح و انتي كده؟
- عادي.
- هسمّعك أغنية و أنا بعملك مساج، هتعجبك خالص.
- انت إيه حكايتك مع الأغاني؟

ذهب إليها وصار مواجهًا لوجهها، تفصلهم بعض السنتيميترات:

- أنا مش من هواة الأغاني، بس بسمع أغاني معينة بس.

احمرت وجنتيها، وأغلقت عينيها بسرعة.

- سمعني و انت ساكت.

ابتسم في صمت وقد فهم أنها محرجة من قربه لوجهها:

- حاضر بس ركزي فيها، معانيها قوية.

وضع أغنية أجنبية (sunrise our last night).

أغنية ذات صوت عالي، لكن كلماتها تلامس قلبك بلطف، كما يدلّك فهد رأسها بنفس اللطف، تشعر بيديه يلمس جبينها، شعور بيد يجري بداخلها دماء، ويمكنك الشعور بنبض تلك اليد، يد تحمل روح بداخلها تستقر على جبينك، شعور بالتناغم والاسترخاء، انتهى من تدليك رأسها، شعرت بأن قد مرّن ثو اني فقط.

- خلصت.
- شكرًا، حاسة إني أحسن.
- أنا عندي مشوار لازم أعمله، هتقدري تقعدي لوحدك؟
- آه، خلاص ارجع بيتك كمان لو عاوز.
- لا هروح المشوار وهاجي على طول، وهمشي من عندك بكرة عشان أكون اتطمنت عليكي.
- تمام، و أنا كمان هنزل مشواربس مش هتأخر.
- هتروحي فين؟ حالتك ممكن تسوء لو أخدتي هوا ساقع.

- أنا هنزل جنب البيت، ماتقلقش هلبس تقيل.
- تمام، أنا هرجع على الساعة تسعة.
- أنا هكون هنا قبل سبعة أصلًا.
- مع السلامة يا ملكة الظلام.

ودّعته، وبعثت رسالة أخرى لمصعب: (تيجي ننزل دلوقتي لو فاضي)

مر بعض الدقائق ووصلها رسالة منه: (تمام، أنا أصلًا في الكافيه، لو عاوزة تيجي تعالي)

لم تجبه وارتدت ملابسها في عجلة، أخذت حقيبتها ولم تعبأ بمنظرها، حتى لم تضع مساحيق التجميل كالعادة.

برد الشتاء يجعل العديد من البشر يدخلون في نوبة اكتئاب، أو هذا ما يسمونه اكتئاب الشتاء، لكن الحقيقة العلمية أن تقلب المواسم يجعل بعض الاضطرابات تظهر وتختفي، مثل اضطراب وجداني الخريفي، لكن لا يوجد مرض متعلق بالمواسم، إنها نوبة بسيطة وتذهب، لكن نحن البشر نحب تضخيم الأمور، نحب أن نعلق كل شيء على مسؤولية طرف آخر؛ لكي لا نحصل على اللوم، لكي نتهرب من كل شيء يكون على عاتقنا، لا أحد يحب المسؤولية، لكن بعض البشر يجعلون المسؤولية متعة، رغم صعوبتها لكن تصبح متعة لهم، شعور مريح بعد يوم طويل أن تأخذ حمامًا ساخنًا تريح جسدك فيه، وتضع بعض مستحضرات العناية بالنفس، أن تعيش بشغف، أن تعطي كل شيء حقه، حتى المشاعر لها حق عليك، يجب أن تعطي حزنك وقت، وضعفك وقت، وفرحك وقوتك؛ لكي تُشفى جروحك، حلّق فوق جميع انكساراتك وانظر لها وأنت تحلق بعيدًا، انظر بكل قوة استجمعتها من

حزنك، انظر للمرة الأخيرة، وحلّق حيث ترى ضعفك يتلاشىَ، أعطي كل شيء حقه.

جلست قباله:

- ممكن أتعرف؟

مصعب:

- جيتي بسرعة!
- أنا بيتي قريب جدًا من هنا.
- طيب تديني خمس دقايق بس أخلص شوية حاجات؟
- أكيد.

عينان عسليتا اللون، بها لمعة قوية، كما أول مرة رأته، تركيزه فقط على حاسبه، لا يلتفت لها ولا حوله أيضًا، تفاحة آدم، كم تريد تذوقها، شفتاه الغليظة، حاجبيه، عطره، له نفس ملامح (عبدالحي)، لماذا لا أشعر بتلك اللوعة مجددًا، رغم أني أراه جذابًا، لكن تلك الشعلة اختفَت، هل حقًا مازلتُ في تلك اللعبة، هناك أنواع كثيرة من الإعجاب، هل هي معجبة به جسديًا، أم لأنه حقًا مميزًا.

لاحظ مصعب أنها تنظر له:

- مالك سرحانة في إيه؟

أشاحت بنظرها:

- عادي، سرحت شوية.
- أنا خلصت.
- تحب تشرب إيه؟

- قهوة طبعًا.
- دي أول حاجة مشتركة بينا، حبنا للقهوة.
- أنا القهوة خطر عليا، بس بشربها برضه.
- مش خايف على نفسك؟
- لا!
- ليه؟
- ماعنديش حاجة أخسرها.

هل هما حقًا يتشاركان نفس التفكير، هي أيضًا لا تخاف أن تفقد روحها، حتى أنها تتمنى الموت أغلب الوقت، هل قد حدث له شيء جعله فاقد طعم الحياة، يجب أن أعرف ما خطبه.

- للدرجادي انت بائس؟
- مش بائس بس خلاص، مفيش حاجة أعيش ليها.
- شكلك اتوجعت جامد في حياتك!
- ومين فينا ماتوجعش، بس أنا مش مكتئب ولا بائس، أنا بشغل نفسي دايمًا، عشان ماأسمحش لنفسي إني أفكر.
- انت في أجازة دلوقتي؟!
- آه، بس برضه عندي شغل؛ لأن فيه حد بيمسك مكاني أما أنزل أجازة، وبيكون متدرب، بس المرة دي فيه واحد جديد مسك مكاني، فلو وقف في حاجة بيكلمني.
- حتى أجازتك مقضيها شغل، منزلتِش تتفسح حتى؟

- نزلت شرم ودهب، وناوي أنزل العين السخنة.
- يا بختك.
- انتي شكلك متغير!
- إزاي؟
- حاسك تعبانة، بس مبسوطة!
- آه كنت تعبانة، بس فهد فضل معايا لحد ما خفّيت.
- آه، تمام.

لقد فعلَت مصيبة، الآن سيعتقد أنها في علاقة، استجمعت قواها وستصلح الموضوع.

- فهد الدكتور بتاعي.
- طيب ماشي.
- كان عندي نزلة برد شديدة، وحجزني في مستشفى يوم؛ لأن جسمي ضعيف.
- ألف سلامة عليكي، وحمدلله على السلامة!
- الله يسلمك.
- أنا تعبت من الشغل، بفكر أروح أتحجز أنا كمان كام يوم.

ضحكت:

- ما انت هتسافر وهتنبسط، من غيري.
- تحبي تيجي معانا؟

- هو انتوا كتير؟
- أنا ومحمد ودينا، ومش أكيد ميسون!
- امتى هتسافروا؟
- ممكن الأسبوع اللي جاي!
- ماشي، هشوف الشغل وهقولك.

رن هاتفها على الطاولة، لمح مصعب بطرف عينيه اسم (فهد)، لكنها سحبت هاتفها بسرعة وأجابت:

- أهلًا!
- أنا شوية وهكون في البيت، انتي رجعتي ولا لسة؟
- لسة، بس الحمد لله أحسن، وأخدت الأدوية.
- طيب يلا ارجعي عشان أنا ساعة وهكون في البيت.
- أكيد، ماتقلقش أنا كويسة.
- انتي في حد جنبك؟
- آه، خلاص هاخدهم في وقتهم.
- ماشي سلام.
- سلام.

نظرت لمصعب، الحمد لله نظراته تبدو مريحة، وأنه لم يشك في الأمر.

- أنا همشي عشان أنا كدبت، وبصراحة ماأخدتش الأدوية.
- تمام، شوفي موضوع السفرونبقى نتقابل تاني.

- حاضر، مع السلامة.

أسرعت للمنزل؛ كي تسبق فهد في الذهاب، وتبحث في عقلها على كذبة تنجيها، لا تريد أن تقول له أنها كانت في صحبة مصعب، هل هي تحاول الآن اللعب بالاثنين!، كلما كانت قريبة لفهد تشعر بغصّة في قلبها، تحب حديثه وتنتظره دائمًا، أول شخص يخطر على بالها هو فهد، هل هذه مشاعر حقيقية، أم أنها حقًا مازالت في لعبتها الوضيعة؟! دخلت المنزل، الحمد لله أنه لم يصل بعد، ركضت لغرفتها، وضعَت بعض بودرة التفتيح تحت عينيها؛ لتبدو مريضة، ارتدت ملابس النوم، خرجت مسرعة لغرفة المعيشة، جلسَت على الأريكة، أخذت هاتفها وهمت بالاتصال به، لكن جاءها صوت الباب يقرع، فزعت وذهبت في هدوء لتفتح الباب.

لوسين:

- مين؟
- هيكون مين غيري!
- اتفضل.
- شكلِك تعبان كدة ليه؟
- عادي، حاسة إني دايخة شوية.

وضع يده على جبينها، وأمسك معصمها؛ ليتحسس نبضها، أدرك من معدل نبضها أنها بخير، وأنها تدّعي المرض، نظر لها بحنان و ابتسم.

- ألف سلامة عليكي! تحبي تخشي تنامي شوية؟
- لا عاوزة أقعد معاك شوية، وبصراحة عاوزة نعمل جلسة.
- تمام، عاوزة تقولي إيه؟

- حاسة إني حد زبالة، حاسة إني مش بتغير، أو بتغير للأسوء، نفسي أعرف فيّا إيه، نفسي أفهم روحي وأعرف أتحكم في نفسي، أنا عاوزة أعرف أنا فيّا إيه بالظبط، عاوزة قاعدة ثابتة أمشي عليها، فاهم قصدي؟!
- مفيش قاعدة ثابتة للتغيير، كل واحد بيتغير على حسب نوع التغيير، أو على حسب هو عاوز يشتغل على إيه، انتي عاوزة تغيري فيكي إيه؟ بس بصراحة!
- عاوزة أكون حد واثق من قرارته، حد عارف هو عاوز إيه!
- لوسين، انتي فيه فكرة مسيطرة عليكي؟
- مش فاهمة.
- أقصد إن فيه حاجة حصلت لخطِتك، وحسيتي أنك مش بتتحسني.
- لا مفيش حاجة حصلت، يمكن عشان أنا تعبانة فدماغي بتسوحني.
- انتي بتكدبي!

لقد أصاب الهدف، وهو يعلم جيدًا أنها تخفي شيئًا، راقب رد فعلها، امتلأت عيناها بدموع، وأشاحت بنظرها بعيدًا عنه:

- أنا مش بكدب، أنا مش بحب الكدب، أنا بخبّي بس!
- طيب ممكن أعرف مخبّية إيه؟
- أنا عاوزة أنام.
- أنا مسافر بكرة.
- مسافر امتى وفين؟

- أمريكا!
- وهترجع امتى؟
- ماأعرفش، بس المرة دي ممكن أطوّل شوية، ممكن شهر!
- شهر كامل، مش هتنزل حتى أجازة؟
- للأسف مفيش حاجة اسمها أجازة، بس ماتقلقيش لو احتاجتيني هتلاقيني.

لم تستطع كبت رغبتها، وأحتضنته بلهفة:

- هتوحشني... حقيقي هتوحشني!

تسارعت نبضات قلبه، تحجرت يداه لدقائق، ثم ضمها إليه كما لو أنه يخنقها، اشتم رائحة جسدها، جسده ملاصق جسدها، اشتعل به جزءٌ ما من رجولته، تركها لكن ظلّت هي متعلقة بين ذراعيه، دفعها بعيدًا، نظرت له وهي لم تفهم سبب دفع لها.

- أنا مزنوق حمام.

ذهب راكضًا وهو يضحك، شعرت بقلبها ينبض له، تحسست صدرها، هل أحبه أم أنا في تلك اللعبة؟ لكن إني حقًا أشعر بقلبي ينبض عندما يكون في الأرجاء، أشعر و أنا بين ذراعيه بأني أمتلك العالم، كيف يمكن أن يكون ذراعين بهذا الوسع، كيف تختفي حدود العالم أجمع في مساحة لا تتعدى المتر، أنا لا أشعر بتلك المشاعر في حضور مصعب، أشعر فقط برغبة غريزية تجذبني له، لكن تلك الغصّة ونبضاتي السريعة تحتاج فقط لحضور فهد لتظهر، ماذا أصابني؟!

- أنا آسف، كنت من الصبح عاوز أعمل حمام!

نظرت بعيون تملأها حب:

- عادي، ممكن أطلب طلب؟
- أكيد.
- ممكن تنام جنبي النهاردة؟!

يا الله الرحمة أرجوك، إنها تصعّب الأمور عليّ، كيف سأقاوم رغبتي وهي نائمة بجانبي، كيف أنام بجانب أنثى ناضجة، كفاكهة مستعدة للحصاد.

لوسين:

- خلاص مش مهم.

أجابها بسرعة البرق:

- لا هنام جنبك.

ابتسمت له:

- هتكون أول راجل ينام جنبي.
- و انتي هتكوني أول أنثى أنام جنبها!
- عاوز تقنعني إنك عمرك ما نمت جنب أنثى؟
- لا نِمت، جنب أمي وأختي وخالتي.
- انت عمرك حبيت قبل كده؟

احمرّت وجنتاه:

- لا، ولمّا اعترفت للي حسيت من ناحيتها إعجاب قوي، فشلت.
- إوعى تحب، أحساس مش حلو.

- مش قصتنا إني أحب، أنا هدخل أنام؛ لأني هسافر بكرة بدري، خلصي سهرتك براحتك.
- طيب، أنا هعمل كام حاجة وهحصلك.

دخل مسرعًا للغرفة، لم يغيّر ملابسه، يريد أن تكون الملابس ضيقة قدر المستطاع؛ ليكبت أي محاولة من عقله، نام على جانب السرير، أغلق عينيه وظل يناجي الله أن يمنحه الثبات.

دخلت لوسين الشرفة:

- النهاردة هعرف إذا أنا بحبه ولا لا، لازم أتأكد.

أغلقت الشرفة وذهبت للغرفة، قلبها يصرخ، وتشعر بغصة قوية في معدتها:

- انت صاحي؟!

لم يجبها، حمدت الله بأنه نائم، نامَت بجانبه وهي تنظر لظهره العريض، لم تشعر بشهوة، فقط أرادت أن تنام بين أحضانه، ظلت تنظر له، تراقب معدل تنفسه، اقتربَت بجسدها لجذعه، احتضنته، استنشقت رائحته، وغابت عن واقع البشر.

(انت صاحي؟!)

سمع الجملة بكل وضوح، لكن عقله رفض الإجابة، شعر بها وهي تستلقي جانبه بحذر، تجمَّد مكانه، شعر بعينيها تراقبه، زادت ضربات قلبه، حاول تشتِيت ذهنه عنها، لكن هي كانت أسرع، تلاحَم جسدها به، نَفَسُها صار قريبًا منه، يمكنه بسهولة الشعور بنفَسِها المضطرب، وشمَّ رائحة ملابسها، يداها تضمه برفق، يحاول جاهدًا تنظيم نفَسِه، حرارة جسدها تتوغل فيه ببطء، تزداد ضربات قلبه، ينتظم نفسُها، لقد نامَت، يصدّ كل الأفكار، تفقد يداها القوة، يتصرف مثل الصبيان ويعد لعشرة؛ لكي يلتفت، أنهى العد سريعًا، لكن التفت لها بكل بطء، تفحّص وجهها النائم، ينظر لها كأنما أول مرة يراها، وجهها طفولي، تبدو مثل جنية صغيرة فقدت إحدى جوانحها، وجهه قريب منها كما لم يكن من ذي قبل، هي تخرج زفيرًا وهو يأخذه في شهيق، اقترب أكثر لها، وضع قُبلة على جبينها، وأرغم عقله على الخضوع للنوم.

(بعض الحب ترياق... وبعض الحب سمٌ قاتل!)

استيقظ على صوت رنين هاتفه، وجدها نائمة بين ذراعيه، سحب جسده برويّة وخرج من الغرفة، أجاب على هاتفه:

- صباح الخير!

أحمد:

- صباح النور يا دكتور، أنا خلاص جهّزت كل حاجة عشان السفر.

فهد:

- معاد الطيارة امتى؟
- هو حضرتك لازم تنزل دلوقتي حالًا، لأني مالقتش حجز غير الساعة١١.
- ماكانش فيه حجز متأخر شوية؟
- لا والله، أنا آسف.
- تمام أنا هروح المطار حالًا، أهم حاجة شنَطي جاهزة؟
- آه شنط حضرتك والباسبور جاهزين.
- أنا نازل حالًا.

كتب لها ورقة وتركها على المنضدة.

عندما تعتاد الوحدة يصبح كل شيء بلا روح، تضيع الألوان ويصبح عالمك باللون الأسود والأبيض، لا يوجد رمادي، لا يوجد وسط، تطرف إلى أبعد حد، عندما ترى شخصًا يمشي مكبًا على وجهه، لا يدري ما على يمينه أو شماله، لا يعبأ بما يدور حوله، فقط يمشي هائمًا على وجه الأرض بلا هدف بلا وجهة محددة، يبتسم في وقت حزنه، يحزن في أسعد أوقاته؛ لأنه لم يعتد السعادة، اعتاد الحزن كطعم الماء، فكيف يشعر بالسعادة وحياته كلها تدور في الوجَم، شخص قد ماتت روحه، ظل فقط جسده الهزيل يتحرك دون إدراك، إذا فقط أمعَنت النظر ستجد الحزن دفين قلبه، ستجد بأن عينيه تذرف دموعًا في صمت، يداه ترتجف رغم تظاهره المستميت بالقوة، لكن مع أول نبشة ينهار، جبل من الرمال والهواء بعثره في ثو اني، ذلك الشخص يموت كل ليلة، ولا أحد يعلم ما داخله.

أفاقت من نومها على أمل أن تجده بجانبها، بحثَت عنه في الأرجاء، وجدت ورقة بخط يديه: (خدي بالك من نفسك عشان خاطري، حاولت أتأخر في السفر شوية ماعرفتش، سامحيني إني ماودّعتكيش وداع لائق، موبايلي هيكون أول يومين مقفول ماتقلقيش، أول ما يكون عندي خط في أمريكا هتصل بيكي، خدي بالك من روحك وإوعي تعملي حاجة تلخبط سلامك الداخلي، اكتبيلي كل حاجة حصلت في يومك من غير نقصان، و أنا هتابعك أول بأول، هتوحشيني جدًا، هفتقد وجودك معايا يا ملكة الظلام.)

ابتسمت من كلماته العذبة والصادقة، ذرفت بعض الدموع، نظرت حولها بحزن، قد عاد منزلها خاويًا، عاد بلا روح ولا طعم، أجهشَت بالبكاء، لماذا كل من أحبهم يتركوني خلفهم، أعلم جيدًا حبهم تجاهي، لكن لماذا أُترَك في الخلف، شعرت بمنزلها يضيق عليها، صدرها يخفق ألمًا، أنا الآن وحيدة،

عُدت كما كنت، تريد أن تصرخ بأعلى صوت، لكن عجزت عن الكلام، ظلت تبكي وحيدة.

صعد فهد للطائرة منذ خمس ساعات، عقله شارد تمامًا، يعلم أن وقت عودته سيطول هذه المرة، قلبه يتمزق أنه تركها خلفه وهو يعلم جيدًا بأنها في أشد الحاجة إليه، كيف تركتها خلفي؟! أعلم جيدًا أن حالتها ستسوء وتركتها، هل أحببتها أم أنها فقط موضوع بحثي؟! كيف تجرأت على تركها خلفي؟! يجب أن أعود لها في أسرع وقت.

أما لوسين، فعاصفة بكاء انتهت، ارتدت ما وجدته أمامها وخرجت؛ لتشرب بعض القهوة، حاولت الاتصال (بحسين) لكن لم يجيبها، حتى (داليا) هاتفها مغلق، دخلت الكافيه لكن حسين لم يكن هناك، طلبت قهوتها المعتادة، عيناها تر اقب كل من حولها، صبَّت تركيزها على قهوتها؛ لأنها تعلم أنها تحتاج فقط لقرصة صغيرة؛ لتبكي مجددًا، ليأتي صوت مصعب منتزعاً إياها من الشرود:

- مالك مركزة في قهوتك كدة ليه؟
- عشان تقريبًا ماليش حد غيرها!
- شكلك متضايق، لو وجودي هيزعجك هقوم.
- لا ماتمشيش، مش انت كمان هتمشي...

لم تنهي جملتها وانهارت مرة أخرى.

- مالِك يا بنتي فيكي إيه؟! طيب اهدي وتعالي نمشي من هنا الناس بتتفرج علينا.

أخذها من يدها و انصاعت له، فتح لها باب السيارة، ضمَّت قدميها إلى صدرها وأجهشت في البكاء مره أخرى.

- يابنتي قلقتيني عليكي مالك، أرجوكي احكيلي!
- ليه أنا؟ ليه أنا كل الناس اللي بحبها تمشي وتسيبني وراهم، ليه أنا عايشة في حياة مالهاش طعم ولا لون ولا حتى ملامح، أنا تعبت من كل حاجة بجد، أنا عاوزه أموت، ليه كل الناس اللي مفروض قريبين مني بيمشوا، ليه محدش بيقعد معايا للآخر، هو أنا للدرجادي حد وِحِش، أنا تعبت خلاص، أنا تعبت وعاوزة أموت، كفاية بقى لحد كدة، عاوزة أرتاح.
- أرجوكي اهدي، تيجي نسافر دلوقتي أنا و انتي؟
- خدني وماترجّعنيش تاني هنا، أنا لو رجعت بيتي هموت.
- حاضر، طيب ممكن أروح بس بيتي أجيب الشنطة؟
- اعمل اللي تعمله!
- ماتخافيش الشنطة جاهزة، هجيبها وهنزل على طول.

أماءت بالموافقة وصمتَت، انطلق مسرعًا لمنزله، وفي عقله يدور ألف سؤال، ماذا حدث لها؟ لماذا تبكي بهذه الحرقة؟! صوت بكائها عالي، لماذا قلبي يعتصر ألمًا عليها؟! كم أود أن أضمها إليّ، صوت بكائها يخفّ تدريجيًا إلى أن انقطع تمامًا، هل نامت؟! أوقف السيارة بهدوء وخرج لكي يحضر حقيبته، قد غلبها النوم من كثرة البكاء، وضع الحقيبة في المقعد الخلفي و انطلق إلى (العين السخنة).

في ناحية أخرى من كوكب الأرض، وصل فهد للولايات المتحدة، لم يسترح حتى، ذهب فورًا لمؤتمر في (واشنطن)، تغمر فهد سعادة؛ لأنه سيتمكن من مقابلة أطباء من حول العالم، وبالطبع سيمكنه مناقشة حالة (لوسين) معهم، لكنه أيضًا بين طيات سعادته يوجد حزن دفين، كل ما يفكر فيه هو كيف سيشخص مرضها؛ لكي يساعدها، إلى الآن لا يعلم ماهية مرضها، ومازال عند اعتقاده بأنها مرض لم يشخصه دكتور بعد، حتى هو قلبه يعتصر ألمًا لأجلها، لكن هي لا تشعر بذلك.

(قد يظهر شخص في حياتك لا تعلم ما هي مشاعرك تجاهه، لا تحاول أن تعرف.. فقط اخضع)

ساد الظلام في الأرجاء معلنًا عن انتهاء يوم، يوم يحمل الكثير من الأسئلة، ولن يجيب أحد عليها، وصل مصعب إلى وجهته، أخذ حقيبته ووضعها بداخل الشقة، أشعل أنوار الشقة بالكامل، وذهب ليتفقد فاطمة في السيارة، مازالت نائمة.

- احنا وصلنا، اصحي يلّا!
- أنا تعبانة وعاوزة أكمل نوم.
- طيب تعالي هدخلك أوضتك.

ذهبت خلفه وهي لا تقدر على الكلام، دخلت غرفة كبيرة، تبدو مريحة، ارتمت على سرير كالقتيل، أغلق النور والباب خلفه، ماذا حدث لها جعلها تنهار تمامًا، وما كان قصدها عندما قالت أن الجميع يتركها خلفه، الكثير من الأسئلة تدور في عقله، والوحيد الذي يستطيع أن يجيب عليها هي فقط.

عاد فهد وهو يشعر بالنصر من مقابلة بعض الأطباء، أجمع بعضهم أن تلك الحالة تعاني من اضطراب الشخصية الحدية، والبعض لم يعطوه ردًا ينعم به، لكن على الأقل أغلبهم أجمع على مرض معين، وبالتالي سيتمكن من معالجتها، أخذ هاتف مساعده وهم بالاتصال بها، لكن شيئًا بداخله منعه عن ذلك، منذ أن وصل واشنطن وهي محتلة تفكيره، هل يحبها حقًا، أم هذا تعلق الدكتور بمريضه؟! لكن كيف؟ ومتى؟ هل لأنها ضعيفة و أنا أشعر بأني أستمد من ضعفها قوتي؟! هل لأنها طبيعية لحد النقاء؟! أم لأنها شيء مميز؟ لا أدري لماذا، لكن لن أتصل بها إلى أن أعرف حقيقة مشاعري تجاهها.

حتى في عتمة الليل هناك نور، حتى في أقسى أيام حياتك هناك أمل، الحياة مرتفعات ومنخفضات، ولا يدوم على حال لها شأن، أنا الآن أحدثك يا قارئ، مهما حدث لك لا تستسلم، أعلم أنك ضعيف، وتحتاج من يربِت على كتفك، تحتاج من يستمع إليك دون أن يحكم عليك، أنا على يقين بأن بداخلك محطم، وأن الموت رحمة لك، صدقني بعد كل ظلام نور، وبعد كل حزن فرح، لا تيأس، عافريا صديقي، فالفشل أن تستسلم، ابدأ الآن، العلاج النفسي للجميع.

انتهى من المنشور، وأغلق صفحته على موقع (الفيسبوك)

صوت ارتطام موج البحر يصنع سيمفونية عظيمة، ورائحة طعام تداعب أنفها، أفاقت وذهبت لمصدر الرائحة، وجاء صوت مصعب:

- مساء الخير!
- مساء النور!
- أخيرًا صحيتي، أنا قولت هتفضلي نايمة لبكرة!
- احنا وصلنا امتى؟
- من خمس ساعات.
- هي الساعة كام؟
- الساعة عشرة بليل.
- طيب.
- أنا هخليكي تاكلي، بس بعد أمّا تخلصي عاوز أعرف مالك!
- أنا كويسة ماتقلقش.
- لا انتي مش كويسة، طول الطريق بتعيطي و انتي نايمة، وبتقولي كلام مش مفهوم، انتي مش كويسة، و أنا عاوز أساعدك زي ما ساعدتيني، من فضلك قوليلي مالك.
- قولت أنا كويسة، وحتى لو مش كويسة هتفرق معاك في إيه؟ أنا أهمك في إيه أصلًا؟!

مصعب: ماأقدرش أشوف حد محتاج مساعدة وماأساعدوش، مش دي كلمتك ولا إيه؟

قالت في عقلها أنها كلمة فهد:

- ومين قالك إني محتاجة مساعدة، أنا قوية ومش محتاجة حد يساعدني قولت، أنا مش محتاجة حد.

انهمرت في البكاء، لماذا الجميع يصرخ لي، لماذا جميعهم يرحلون، لمَ أنا وحيدة حتى في صحبة الناس؟ لماذا أبكي الآن؟ شعرَت بجسد يضمها، اقشعر جسدها، ضمته لها هي أيضًا، وانهالت عليه بضربات خفيفة في ظهره:

- ليه بتزعقولي، ليه بتحسسوني بالذنب، ليه بتمشوا وتسيبوني.

مصعب:

- عمري ما همشي وأسيبك، أوعدك هفضل جنبك، أنا آسف إني زعقت فيكي، بس دة من خوفي عليكي.
- الكل قالّي كدة، عمرنا ما هنسيبك، والله احنا بنحبك وهنفضل جبنك، الكل وعدني، والكل خلفوا بوعودهم، أنا تعبت من الكلام، أنا عاوزة فعل، اثبتولي إنكم هتفضلوا للنهاية، الكلام مش عليه جمارك!
- هثبت لِك إني هفضل للآخر.
- صدقني يومًا ما هتزهق مني وهتمشي.
- ممكن تبطلي عياط وتاكلي!
- أنا هنزل أقعد قدام البحر شوية.
- طيب خدي أكل معاكي!
- مش عاوزة أكل، عاوزة أقعد لوحدي.

ذهبت قبل أن ينهي حديثه، لم تعبأ بجسدها المرهق ولا حاجتها للغذاء، يفصلها عن البحر بضعة مترات، ركضَت إلى أن اقترب منها البحر، تعثرت بسبب صخرة صغيرة، قدمها الصغيرة تنزف دماء، نظرت للدماء ببرود، شعرت بمتعة عارمة عندما رأت دماء قدمها، عيناها تبحث عن أي زجاجة مكسورة، وجدت واحدة، أمسكتها وقلبها يخفق من شدة الخوف، شرايين يديّ زرقاء اللون، وبداخلها لون الأحمر، ما هذه الخدعة؟! كل ما حولنا خدعة كبيرة، تحسَّست الزجاجة بأناملها، معدل تنفسها يزيد، بدأت في غرزها.

- انتي بتعملي إيه يا مجنونة؟!
- هات الإزازة!
- مش هديكي زفت، انتي اتجننتي ولا إيه؟!
- كفاية... كفاية خلاص..
- ممكن تحكيلي فيه إيه، مش يمكن أقدر أساعدك؟
- أنا تعبت من نفسي ومن كل اللي حوليّا، دة كل شيء!

أخذ بيدها وهمّ إلى الشاليه، لكنها لم تقدر على الحراك، حملها بذراعيه واستسلمت له:

- مش عارفة أقول لَك إيه، بس أنا حقيقي تعبت من كل حاجة.
- عيّطي لو عاوزة.

(الاحتياج غريزة... ويجب أن نعترف بها)

الحياه ليست نعيمًا، في كل مرحلة عمرية هناك عقبات، من أول ولادتك وتعلمك الحبو والحديث، إلى العادات والتقاليد التي تُفرَض عليك، التي تجعلك مرغمًا على الخضوع لها، إذا لم تخضع سيدعونك بالكافر، رغم أنها عادات وتقاليد خاطئة، ومن وضعها هم بشر مثلي ومثلك، لكن جميعنا نخضع لها.

الجو قارس في أمريكا، حتى الآلاف من السترات لا تكفي، بحث فهد عن صفحتها في (فيسبوك) ووجدها، ليست نشطة منذ يومين، اعتراه قلق رهيب، وآخر منشور كتب يوم رحيله: (أنا لست خائفة من الموت... أنا خائفة من الحياة)، قد أفزعه المنشور، تفقد هاتفه واتصل بها، وها هو الصراع بين القلب والعقل.

- ألو!

فهد:

- مين؟

مصعب:

- أنا آسف والله، بس (فاطمة) نايمة، كان يوم مرهق عليها، أنا اسمي مصعب.

قلب فهد يعتصر، إنها معه الآن، ولا يعرف لماذا هي معه، وأيضًا نائمة في بيته، قاطعه صوت مصعب:

- ألو، حضرتك معايا؟
- معاك، هي مالها؟
- أنت تقربلها؟
- أعتقد دة شيء مايخصّكش، ولو أنا مش قريب منها عمرها ما هتديني رقمها!
- و أنا ماأقدرش أتكلم غير بإذنها، أو أعرف حضرتك مين، وكمان رقم حضرتك مش متسجل عندها!
- أنا دكتورها، و أنا اللي متابع حالتها.
- إزيك يا فهد!
- انت تعرف اسمي كمان، لوسين عاملة إيه؟
- هي مش مريضة، هي بس مرهقة شوية، ثواني صحيِت أهي، خدي (فهد) اتصل ورديت عليه.

أخذت الهاتف بسرعة:

- فهد!
- أخبارك إيه؟
- أنا كويسة، قلت هتكلمني، لسة فاكر تكلمني دلوقتي؟
- ممكن تروحي في مكان لوحدك، عاوز أقولك حاجة ضروري!
- حاضر، ثواني.

ذهبت للغرفة، وعين مصعب تلاحقها.

أغلقت الباب خلفها ثم قالت:

- أنا لوحدي!
- ممكن أعرف مالك.

تريد بكل كيانها أن تخبره بكل شيء، أن تخبره منذ ذهابه وهي تشتاق له، تريد أن تخبره بأنه كل شيء جميل في حياتها، كم تود أن تخبره.. أن تضمه لها... أن تستنشق رائحته.... أن ترى ضحكته.... أن.....

- انتي ساكتة ليه؟
- أنا كويسة الحمدلله، ماتقلقش عليّا.
- انتي نايمة في بيت مصعب ليه؟
- أنا مش في بيته، أنا في شاليه في السخنة.
- تمام، حابّة نعمل جلسة دلوقتي؟
- مش هينفع دلوقتي، نخليها بالليل؟
- خدي بالك إن فيه فرق وقت، بس رنّي عليا لمّا تكوني فاضية، لو كنت موجود هرد عليكي، مع السلامة.

أغلق الخط دون أن ينتظر ردها، شعرت من أسلوبه بأنه غاضب منها، لكن لماذا؟! لماذا كل هذا الجفاء؟! تريد البكاء، لكن كفى، لقد سئمت البكاء، منذ قدوم فهد في حياتها وهي تفقد عقلها، منذ قدومه و أنا أصبحت ضعيفة، وكل شيء يجعلني أبكي كالحمقاء، خرجت من الغرفة وبسمة تعلو وجهها:

- عملتلنا فطار إيه؟

مصعب:

- انتي بتحبيه صح؟
- مين؟!
- فهد بتحبيه!
- فهد دكتوري وبس، لا أكترولا أقل!
- بس هوكمان بيقول لوسين مش فاطمة!
- إيه رأيك انت كمان تقولّي لوسين؟
- إيه قصة لوسين وفاطمة؟
- أنا اسمي في البطاقة (فاطمة)، بس أنا بحب اسم (لوسين)، القريبين مني بينادوني بيه، عشان كدة انت كمان ناديني بيه.
- مااشي يا لوسين.
- أنا ماجبتش لبس معايا، ولبسِي متوسخ من امبارح، هل فيه محلات هنا بتبيع لبس؟

ضحك من قلبه:

- انتي في السخنه، مش في وسط البلد، هدورلِك على لبس عندي.

دخل غرفته، وقد أخذت قرارها بأنها ستظل كما كانت دائمًا، كاسرة قلوب الرجال، لكن هذه المرة لن تكسر قلب أحد، فقط ستحاول الحصول على قلب مصعب وكفى بذلك.

- مالقتش غيردول..

وانهمر في الضحك.

- يعني أنا هلبس تيشرت رجالي وكمان شورت!
- أصل دة الوحيد الي ممكن يتربط، أو خليكي بلبسك ده!

اختطفَت الملابس من يده:

- هات ومالكش دعوة.

أعطته نظرة تدل بأنه حقير، و ابتسمت أبتسامه جعلت قلبه يخفق لها.

أنا بخير كما كنت، لن أكسر قلب أحد، ولكن لن أسمح لنفسي بالوقوع في حب فهد، أنا مجرد صديقته، وهو فقط يشعر بالتعاطف معي، كيف يمكن أن يقع في حب فتاة مثلي، سأخرجه من قلبي مهما كلف الأمر، لا أريد التعلق بأحد، لن أسمح بجرح جديد، خرجت من الغرفة، وشكلها يجبرك على الضحك.

- يخربيت منظرك، عاملة زي الشوال!
- شكرًا لذوقك، وبعدين عمري ما شوفت شورت أحمر رجالي.
- اسكتي ده هدية جاتلي، عيب.
- دة منظر هدية دة؟ أنا لو حد جابلي هدية زي دي هولّع فيه.
- حد قالّك إنك عسل قبل كده؟
- كتيير!
- إيه الثقة دي، عامةً انتي عسل.
- و انت حد جميل جدًا من جوّة، بس من برة اللي يشوفك يقول عليك تِنِك.
- ما انتي برضه كدة، على فكرة احنا نشبه بعض جدًا!

- أنا جعاااانة، مش هتأكلني.
- إديني خمس دقايق بس.
- هستناك قدام البحر.

تركته وذهبت كي تستنشق اليود، اشتعل بداخله فتيل الغيرة، إلى أين صارت علاقتها بذلك المدعو (فهد)، يجب أن أعرف، لكن لماذا أنا مهتم لهذه الدرجة بها؟! ولماذا أشعر بأني أريدها لي أنا فقط؟! من المستحيل أن أكون قد وقعت في حبها، إنها حقًا فتاة مميزة، لم أرى في حياتي مثلها، نقية حد البياض، عفوية حد الجنون، جميلة حد الكمال، كأنها آلة منزلة من السماء، قوية لكن بداخلها طفلة ضعيفة، ابتسامتها صادقة، عيناها تضخ الحياة في عروقك... أفاق من غيبوبة تفكيره على رائحة الطعام يحترق، صنع بعض أرغفة العيش المحشوة بالبيض، ووضعها في حقيبة طعام ومعها عصير، خرج من المنزل إليها، وقد أخذ قراره بأنه سوف يجعلها ملكه هو فقط.

****

اعترى فهد غضب جارف بداخله، لمَ هي معه؟! ولماذا رفضت جلسة العلاج؟! دائمًا هي التي تطلب، لكن لمَ هذه المرة رفضت؟ فتح حسابها على (الفيسبوك) لم يجد أي شئ جديد غير صورة مكتوب فيها جملة (يمكن قد كذبت عندما قلت لكَ أنا بخير)، ماذا تقصد بهذا الكلام، النار مجتاحة صدره، سأتصل بها بعد ساعتين من الآن، فليحدث ما يحدث.

رأى مصعب (لوسين) من بعيد، تركض وتلعب بالماء، تصرخ مرحًا، ترقص على أغاني أجنبية، اختفى وراء شجرة لدقائق، ير اقب كل حركة، كل رقصة، كل ضحكة، كل نفحة هواء تضرب جسدها.

- مش كفاية هبل!

نظرت له، و ابتسمت ابتسامة واسعة، ركضت إليه وأمسكت بيديه:

- تعالى نجري.
- انتي مجنونة!
- يلا نجري قولت...

لم تنتظر رده، وأجبرته أن يركض معها، ممسكة يديه بقوة، انصاع لها، تركض أمامه، شعرها القصير يتطاير من الهواء، تلتفت له كل دقيقتين، تبتسم له وتجبره على الركض أسرع، سحبها له على غفلة، سقطا على الأرض.

- بطلي جري.
- يا غلس وقعتنا على الأرض!
- عشان تبطلي جري، تعبتيني.
- طيب يلا نقوم.

همت بالقيام، لكن أمسك يديها بحب، وزرع جسدها داخل ذراعيه، تحجرت مكانها، تذكرت حضن فهد لها، أغلقت عينيها وضمته لها، لكن في عقلها هي الآن تضم (فهد)، هي الآن في حضنه الدافئ، اقشعّر جسده منها، حاول أن يطلق سراحها، لكن احتضنته بقوة أكبر.

- خليني في حضنك!

صمت تمامًا، وتركها تفعل ما تشاء، قلبه ينبض باسمها، عقله يأمره بالتراجع عن هذه الفكرة، وها هي حرب أخرى بين القلب والعقل، لم تهتم بأن رائحته مختلفه عن (فهد)، كل ما تحتاجه هو حضنه، تعلم جيدًا بأنها تستغله، لكن لا بأس بقليل من الأنانية، اقتربَت أكثر إليه، نظرت إلى عينيه، هي تعلم جيدًا كيفية التلاعب بالمشاعر، عيناه ترتجف من نظرتها، اقتربت أكثر، أغلق عينيه بإحكام، واستعدّ لقُبلتها، وضعت قبلة خفيفة على وجنتيه، و انطلقت راكضة.

- انت قفَلت عينيك ليه يا شقي؟!

اعتراه خجل وغضب:

- قفلتها عشان.... عشان انتي حيو انة.

ركض خلفها بكل قوته.

حسن:

- أستاذ رأفت، فيه ناس عاوزة حضرتك برة، بيقولوا انهم من طرف أستاذة لوسين.

رأفت:

- خليهم يتفضلوا!
- حاضر.

دخل عليه والدها وشاب آخر:

- السلام عليكم!
- وعليكم السلام، اتفضلوا اقعدوا، حسن شوف عاوزين يشربوا إيه!

أجابه والدها بحدية:

- لا مش عاوزين نشرب، همّا كلمتين وهنمشي.
- اتفضل حضرتك، اؤمرني.

حمدي:

- أنا جاي بس أقول لك قبل ما آخد أي إجراء رسمي، أنا عاوز بنتي ترجعلي، وكل اللي طالبه منك إنك تشيلها من الوسط الإعلامي، وعاوز عنوانها!

ابتسم رأفت ابتسامة صفراء له:

- للأسف مش هقدر أخدم حضرتك في الموضوع دة، وعن إذنكم عندي اجتماع مهم دلوقتي، من غير مطرود لو سمحتم.

اندفع الشاب وأمسك برقبة رأفت:

- هتقول ولا أدفنك هنا، دي أختي وعاوزين نوصلّها، وماتخليناش نعمل حاجة تأذي الشركة بتاعتك، فاهم؟!

دفع رأفت الشاب بكل قوته وانقض عليه:

- انت مش عارف أنا مين، أنا ممكن أبعتكم ورا الشمس، ولو فاكرين إنكم ممكن تأذوني أو تأذوا شركتي فأنتم بتحلموا، وبقولهالكم تاني، محدش هيقدر يلمس شعرة من لوسين، أولًا عشان هي مش قاصر، وثانيًا هي دلوقتي مدام، وعلى وشك إنها تخلّف، وأنا مش هسمح لحد يجي ناحيتها، فاهمين!

اندفع رجلان ذو بنية قوية داخل المكتب، وأجبروهم على الرحيل، أخذ رأفت هاتفه بسرعة وحاول التواصل معها؛ ليخبرها بما حدث، لكن لم تجِبه، أين أنتِ يا حمقاء؟ يعلم أنها لن تجيبه؛ لأنها عندما تكون في أجازة لا تجيب على مكالمات العمل، بعث لها رسالة (ردي عليّا أول ما تشوفي الرسالة، أهلك كانوا عندي النهاردة وطردتهم)

أخذ فهد هاتفه، قد مر ساعتان بالضبط، بداخله صراع، لم يعتد أن يشعر بتلك المشاعر، مشاعر طفولية من الدرجة الأولى، يقلب الهاتف بيديه، هل أعاود الاتصال أم أنتظر قليلًا؟ هل أقاوم أفكاري؟ منذ متى وأنا أندفع لفكرة معينة؟ الاندفاع مرض، هل أصبحتُ مريضًا الآن، لا أنا فقط أريد أن أطمئن عليها.

(كلما أنكرت شيئًا، كلما زاد تعلقك به)

عاد مصعب للشاليه؛ ليأتي بملابس البحر، ويعتريه شعور بالنشوة، نشوة قد نسيها منذ رحيل (ندى) عنه، تذكر اقتراب (لوسين) منه، تذكر اللحظة التي أغلق عينيه فيها، كان وجهها ملاصق له، صوت أنفاسها، رائحة شعرها، ضربات قلبه، ملمس شفتيها على وجنتيه، لماذا أغلقتُ عيني؟ هل حقًا توقعت أنها ستقبلني؟ كم أنا ساذج، أنا الآن في موقف لا أحسد عليه، سأعمل على تحسين الوضع.

رنّ هاتف لوسين، ويبدو أنه رقم أجنبي، خفق قلبها، إنه فهد، هل أجيبه أم لا؟ لم تنتظر كثيرًا وأجابته:

- ألو!
- إزيك؟
- أنا كويسة الحمدلله، و أنت؟
- أنا بخير.

ساد صمت لعدة دقائق، إلى أن ارتجلت لوسين وقالت:

- انت متصل ليه؟
- عندي خبر وحش!
- خير؟!

قرر أن يختبر مشاعرها:

- أنا أحتمال أطوّل جدًا في أمريكا، ممكن أقعد هنا سنة.

شعرت بدموعها تتساقط رغمًا عنها، وقلبها بداخله خنجر مفرغ، وروحها تهشمت.

- انتي ساكتة ليه؟

استجمعَت قوتها:

- أصله فعلًا خبر وحش، ربنا يعينك هناك، ومادام قعدتك هناك بتصبّ في مصلحتك يبقى خلاص.
- مال صوتك؟
- تقريبًا جالي برد من الجو هنا.
- انتي بتعيّطي، أنا عارف صوتك كويس.

أجابته هذه المرة بقوة مصطنعة:

- أعيّط ليه يعني، ده عشان مصلحتك، وأكيد مش بإيدك، أنا لازم أقفل دلوقتي.
- تمام، خدي بالك من نفسك، ومأأظنش إني هتصل تاني، بس لو احتاجتيني اتصلي في أي وقت، مع السلامة.
- مع السلامة.

صرخت بأعلى صوت: كفاااااااااااااااااية.

سقطت على الأرض، ولم تقوى على الحراك، ضمت جسدها بنفسها، ولا تلفظ حرفًا غير تلك الكلمة (كفاية)، كأنها برنامج وقد تعطل، نظرت لهاتفها، هناك مكالمة من (رأفت) ورسالة، مسحت دموعها وفتحت الرسالة، صدمتها الرسالة، عاودت الاتصال بر أفت:

- فيه إيه؟

رأفت:

- يعني كان لازم أبعتلك رسالة عشان تردي، أهلك كانوا عندي من شوية، وعاوزين عنوانك، وإني أمشيكي من عندي....

قاطعته:

- واديتهم العنوان؟!

- ممكن تسمعيني للآخر من غير ما تقاطعيني، طبعًا ماخدوش عنوانك، وحاولوا يهددوني بإنهم هيفضحوكي، وقال إيه هيأذوا شركتي، خوّفتهم وخليت الأمن يطلعهم برة، بس عكيت الدنيا في نقطة...

جسدها يرتعش وقاطعته مرة أخرى:

- عكيت في إيه، تعتقد هيعملوا إيه؟!

- ممكن تسكتي، قولتلهم إنك متجوزة وحامل، قولت كدة عشان ساعتها مش هيقدروا يأذوكي بحاجة، ماتنسيش إن فيه تاريخ ليكي في العلاج النفسي، ممكن يجيبوا شهادة مضروبة ويطالبوا إنك تكوني تحت وصايتهم عشان حالتك النفسية ماتسمحش إنك تكوني مسؤولة عن نفسك، وبما إنك متجوزة الوصية بتكون لجوزك، المشكلة إنك مش متجوزة، وسهل جدًا يعرفوا إنك مش متجوزة!

- طيب وهنعمل إيه؟

- معرفش، ومش قدامنا حل غير إنك فعلًا تتجوزي!

كان مصعب خلفها من أول الحديث، وظل يستمع بصمت...

- أتجوز؟! انت بتهزر، و افرض قررت أتجوز، هتجوز مين؟! وإزاى وفين؟!
- ممكن يكون جواز صوري، مش حقيقي!
- معنديش حد أثق فيه للدرجة دي، وحسين هيخطب قريب، مفيش غيرك!
- انتي ناسية إني مسيحي!
- طيب وهنعمل إيه في المصيبة دي، انت عارف إن لو حد عرف في الشغل إني مش فاطمة هيحصل فيا إيه، أنا كدة هخسر شغلي، وشعب مصر مش بيرحم حد، وساعتها كل الإعلاميين هيمسكولي طبل ورِقّ!
- أنا زيّي زيك، مش عارف أعمل إيه، وقولت كدة عشان أحميكي، ماأظنش كان فيه حل غير دة.
- دة اللي كان ناقصني، أنا تعبت من اللعبة دي، لعبة لوسين وفاطمة، أنا تعبت، كفاية بقى.

أغلقت الهاتف وظلت تبكي بحرقة، اقترب مصعب منها ببطء وضمها إليه ولم ينطق بحرف.

- انت سمِعت المكالمة؟
- اسكتي وخليكي في حضني!
- انت سمعتها، صح؟!
- هششششش، عيّطي براحتك، واعتبريني ماسمعتش حاجة.

مرت دقائق... ساعة... ساعتين... حتى غفت من البكاء.

حملها ووضع قُبلةً صغيرة على جبينها، وانطلق إلى (الشاليه)، وعقله مليء بالأسئلة.

صوت الباب يطرق بشدة.

- افتحي يا ولية!

فتحت الباب بسرعة:

- قولّي حصل إيه، بنتي كويسة!

حمدي:

- لوسين مابقتش بنتنا، لوسين بقَت وحش جامح.
- مالها بنتي، مالها لوسين؟
- بنتك اتجوزت وحامل...

قاطعه عمرو:

- لوسين يا أمي نسيتنا، و اتخلت عنّا، ماأظنش أنها هترجع.

الأم:

- روحولها تاني، أنا عاوزة بنتي، عاوزة أقضي معاها آخر أيام عمري.

حمدي:

- اسكتي، اسكتي يا أم لوسين، بنتك ماتت...

****

على سريره في الفندق يجلس (فهد)، وهناك حرب قائمة في زو ايا عقله، هل أنا حقًا طبيب نفسي؟! كيف أكون طبيبًا نفسيًا ولا أقدر على معرفة ما بداخلي؟ ماذا حل بي؟ يجب عليّ زيارة طبيب نفسي.

وما الحب غير لعنة تصيبنا ونحن لا نشعر، تسرق سلامنا الداخلي، تضعنا في حرب جياع، تغير نظام علقنا، فترتفع نسبة الدوبامين عند لقاء الحبيب، لكن إذا رحل، رحل معه كل شيء، الحب إدمان، بل هو أسوء منه، الحب قد يفقدك عقلك، الحب سيفقدك عقلك، سينحر روحك، ستغدو حياتك في وصاب، ستُضيع طريقك، ستنسَى الكثير من الأشياء، الحب ضياع، الحب شقاء، الحب أوهام، الحب ارتطام، الحب وجع، الحب وجم، الحب بدايات، الحب بقاء، الحب وصول، الحب ارتقاء.

(لا تبحث عن الحب؛ لأنه بداخلك منذ البداية!)

((القرب))

.... الفصل الثاني.....

مر أسبوع على حديث لوسين وفهد، حمل هذا الأسبوع العديد من الأحداث، فقد اعترفت لوسين لمصعب ببعض من الحقيقة، وأخفت البعض، قرر والد لوسين قتلها، وذهب فهد لطبيب نفسي وأشار له الطبيب بأنه و اقع في حب تلك الفتاة، ويجب عليه مواجهة مشاعره، أيقن مصعب حبه لها، وبدأ في محاولة كسب ثقتها، ولوسين ضائعة وينحصر تفكيرها في الانتحار، كعادتها هي في عالم، وبقية البشر في عالم آخر.

****

عادت لوسين من تلك الأجازة القصيرة، ذهبت وهي محملة بمشكلة واحدة، والآن محملة بالعديد من المشاكل، ماذا سأفعل حيال زواجي، وعملي، وحيال فهد، المشاكل تحاصرني من كل اتجاه، هل يجب أن أتصل به؟ وكرامتي، لكن قلبي، ما العمل الآن، هو من سينجدني، هو من يعرفني جيدًا، هو من يدعمني، أخذت هاتفها بسرعة و اتصلت به، الرقم مغلق، عاودت الاتصال لكن دون جدوى، شعرت بأنه يعاني مشكلة ما، سيطر الخوف عليها، بحثت في عقلها عن معلومة قد تساعدها للتواصل معه أو حتى الاطمنان عليه، ظلت تفكر لعدة دقائق إلى أن تذكرت أنها رأت صفحته على موقع (الفيسبوك)، أخذت هاتفها وبدأت البحث عن صفحته، أخذ البحث ثو اني، وجدته في أعلى قائمة البحث، فتحت صفحته وبدأت في قراءة منشور اته

كلها، امتلأت عيناها بالدموع، حتى أنتَ كذبت علي، حتى أنتَ خنتَ ثقتي بك، ياربي ماذا فعلت في حياتي كي يحدث لي كل هذا؟!

أغلقت هاتفها، وأمسكت علبة الشفرات، أخرجت شفرة وغرزتها بعزم ما فيها في معصمها، لم يكن الجرح عميقًا حد الموت، لكن نزفت الكثير من الدماء، مما جعلها تفقد وعيها لدقائق، لكن أفاقت من صوت الباب يطرق، حملت جسدها بضعف اتجاه الباب.

- مين؟
- أنا حسين يا لوسين، افتحي الباب.

فتحت له الباب، وفقدت وعيها تمامًا، انصدم حسين من منظرها، يداها تنزف بشدة، وبشرتها ناصعة البياض، حملها مسرعًا و اتجه إلى محله؛ ليأخذ سيارته، لكن في طريقه تفاجأ بمصعب.

- مالها! إيه دة؟

حسين:

- معرفش، معاك عربية؟

مصعب:

- آه معايا!

حسين:

- طيب يلا عشان أنا عربيتي في الكافيه، ومفيش وقت نروح!

ساعده مصعب في حملها، جلس حسين في الكرسي الخلفي للسيارة وفي حضنه تستقر لوسين، اشتعلت غيرة مصعب، لكن هذا ليس الوقت المناسب للتفكير في هذا الهراء، قاد مصعب السيارة بكل جنون، كما قادتها هي قديمًا بكل جنون لأجله، يحمل بداخله نفس المشاعر التي كانت بداخلها وهو مريض، لكن مشاعره أقوى، وصلا لغايتهم، ترجل حسين من السيارة وحملها مسرعًا للمشفى.

- فين الطوارئ؟

الموظف: بسرعة ابعتوا خبر لدكتور يجي في حالة طارئة.
في ثوانٍ نقلوا لوسين لغرفة الطوارئ، ولحق مصعب بحسين:

- هو إيه اللي حصلها، وإزاي عملت كده؟
- معرفش أنا كنت رايح لها البيت عشان أقولها حاجات مهمة، وأول ما فتحت لي الباب وقعِت على الأرض!

مصعب:

- يعني مش عارف حاجة؟
- دة اللي حصل فعلًا، وبعدين مفروض انت اللي تعرف، مش انت كنت مسافر معاها!
- السفرية كانت كويسة، وكانت بتضحك وبتهزر عادي.
- لوسين لما بتكون ضعيفة مش بتبيّن دة، وأمّا ألاقيها بتضحك وبتهزر في كل حاجة بعرف إنها مكتئبة.

ساد الصمت بينهما، وكلاهما يعتريهما الخوف والقلق.

(المظاهر خداعة.... فكل مبتسم ميت.... وكل ميت مبتسم)

كل من أتى لزيارة مصر سيقع في حبها، ليست لأنها الأفضل، بل لأنها تعلق في ذاكرة الجميع، مصر بلد التناقضات، فتجد بها أماكن مثل أوروبا، وأماكن أخرى تحمل زمن عريق، وأماكن تود أن تدفن فيها من جمالها، شعبها أيضًا متناقض، هناك فئة فاحشة الثراء، وفئة لا تملك كسرة رغيف، خرج فهد من المطار، وأستنشق أول نفس في أرضه الحبيبة، فتح هاتفه وقد سهّي عليه أن يبدل الخطوط، وجد مكالمتين من لوسين، غمرته سعادة، و أبتسم من قلبه، ها أنا قادم يا أميرتي الصغيرة، ها أنا قادم كي أفوز بقلبك، ذهب لمحل ليمكنه الاتصال بها، أخذ من الموظف هاتف، و أتصل بها، لكن هاتفها مغلق، من المحتمل أن تكون نائمة، فالوقت متأخر الآن، ذهب مباشرةً لمنزل عائلته، فقد أفتقدهم جميعًا.

****

المشفى تحمل رائحة مميزة، تحمل رائحة الحياة، ورائحة الموت، رائحة السعادة، ورائحة الحزن، رائحة الأمل، ورائحة الإحباط، في المشفى يولد طفل، ويموت كهل، المشفى عالم آخر، اطمأن مصعب وحسين على لوسين، قال لهم الطبيب أنها بخير لكن فقدت الكثير من الدماء، وستستفيق في غضون ساعات، ظلّوا بجانبها، ينظرون لها، تتلاقى أعينهم بصمت، فما بداخلهم أعظم من أي كلمات، بداخلهم حبٌ حقيقي لها، رغم اختلاف نوع حبهم لها، لكن يكنّون لها كل الحب، لم ينطقوا بحرف عند رؤية الجرح،

فكأن الجرح فيهم ليس فيها، اعتصر قلبهم ألمًا، انهار حسين تمامًا، وذرف مصعب دموعًا بصمت.

هل أنا ميتة، صوت بكاء رجل، هل سأدفن الآن، على حد علمي أن الميت يرى كل شيء، لكن لماذا لا أرى غير سواد قاتم؟! ولماذا لم يحضر جنازتي غير رجل فقط؟! نعم فقط، فتحتُ الباب لحسين، كم أود أن أعتذر لك يا حسين على فعلتي، لكن الحياة قتلَت كل شيء بداخلي، أرجوك يارب كن رحيمًا بي، إني عصيتك، ولم أرضيك أبدًا، ارحمني يارب.... شعرت بلمسة على جبينها، انتفض جسدها، رأيتُ حسين يبكي بحرقة، ومصعب منطوي على ذاته.

- لوسين، انتي كويسة؟!

لوسين:

- هو أنا مامتش لسة؟

ركض مصعب وصفعها على وجنتها:

- انتي غبية!؟

نظرت إلى وجوههم القلقة، المريحة، وبكت... وبكوا معها.. لدرجة أنك لن تفرق أصواتهم.

قد تعتقد أنك وحيد، وأن ليس لديك من يحبك من أعماق قلبه، أنت مخطئ، دقق النظر حولك، فربما أنت حلمٌ لأحدهم، وربما أنت أعز ما يملكه شخص، انظر ور اقب، هناك من ينتظر منك إشارة للدخول في حياتك،

وهناك من يود فقط أن يتحدث لك، وهناك من يكرهك؛ لأنك أفضل منه، لكن صدقني.. ستجد حولك من يحبك، لكن أنت فقط.. لا تنظر.

الصباح يطرق على الأبواب، عادوا جميعا إلى منزل لوسين، لم يتحدثوا في شيء، كان الصمت أبلغ اللغات، نام مصعب وحسين في غرفة المعيشة، وكل ساعة يذهب أحدهم للاطمنان عليها، تحدث مصعب على مكالمة رأفت للوسين، أجابه حسين بأنه يعلم، فقد كلمته والدتها وقالت له كل شيء، وأنه كان قادم كي يخبرها بأن والدها يريدها أن تعود، أخبره مصعب بالحلول المطروحة؛ مما أدى لخوفه أكثر، فإذا صدر للمجتمع ماضيها قد تفقد شهرتها ومصداقيتها، الحل الأسلم هو أن تتزوج، لكن لوسين لن تقدم على هذه الخطوة الصعبة، حتى لو زواج صوري، استغرقا في التفكير إلى أن غلبهم النوم.

خرجت بهدوء من غرفتها، وجدتهما نائمَين، عادت إلى غرفتها وتفقدت هاتفها، لم تجد غير مكالمات فائتة من أرقام غريبة، لم تهتم كثيرًا؛ فدائمًا تجد أرقام مجهولة تتصل بها، فتحت صفحته مره أخرى، لم تجد جديد، نعم.. إن فهد طبيب نفسي، وقد كذبَ عليّ، كعادة الجميع، جميعهم كاذبين، مسحت تلك الدمعة السخيفة وأغلقت صفحته ببرود.

باب غرفتها يُفتح ببطء، وظهر خلفه مصعب.

- صباح الخير!

لوسين:

- صباح النور!

اقترب منها، جلس محاذتها، ضمها إليه بصمت، يمكنها سماع دقات قلبه بوضوح:

- قلبك بيدق بسرعة!

نظر لها نظرة اخترقت كل ما بداخلها، اقترب أكثر لوجهها، لشفتيها.. أغلقت عينيها.. وطُبعت قُبلة على وجنتيها.

مصعب:

- قفلتِي عينك ليه؟
- انت بتردهالي!
- تقدري تقولي رد كرامة!
- أنا آسفة.
- أنا اللي آسف... إني ضربتك.
- شكرًا... إنك ضربتني.

رن هاتفها، نظرت للرقم، إنه رقم فهد، لكن الرقم مصري، لم يرى مصعب الاسم، أغلقت الهاتف وقالت:

- مصعب، تتجوزني؟

ذهل... وصمت.

- آسفة، مش مهم.

أجابها بسرعة:

- مو افق!

ابتسمت له، ولكن بداخلها ينهار وأكملت:

- صحّي حسين عشان ننزل لأي مأذون.
- هنتجوز دلوقتي؟
- وراك حاجة؟
- لا، بس بسرعة كده، مش هتفكري حتى!
- أنا واثقة فيك، صحي حسين.

خرج مصعب وهو مذهول مما سيحدث، حتى أنه لم يفكر في الموضوع، هل حقًا سأتزوج بهذه السهولة، العديد من الأفكار تحاصره.

- حسين اصحى.
- هي لوسين كويسة!

مصعب:

- آه كويسة، اصحَى عشان عاوزين مأذون.
- لمين؟
- ليا أنا وهي، وقبل ما تسأل إزاي، لوسين هي اللي عرضت عليا الفكرة دي.

تأكد حسين بأن لوسين حقًا منهارة، ارتدى حذائه، وبدأت مناقشات بينهم هم الثلاثة، انتهت على وجوب زواجهم اليوم، انطلق مصعب وحسين لإحضار المأذون، واستعدت لوسين؛ ارتدت فستان زفافها القديم، تعلم بأنه فال سيء، لكنه زواج صوري ليس إلا، استغلت غيابهم واتصلت به.

- صباح الخير!

لوسين:

- صباح النور!

فهد:

- عندي مفاجأة ليكي.
- و أنا كمان.
- هقول أنا الأول، أنا في مصر.

أجابته بقلب متحجر:

- حمدلله على السلامة.
- عاوز أشوفك... جدًا.
- مش هينفع النهاردة؛ عشان كمان ساعة هتجوز.

صمت تمامًا... اختفى صوته!

- ألوو!
- مبروك... بس مين صاحب الحظ؟
- مصعب، هتجوز النهاردة يا دكتور فهد عبدالله.

استوعب من طريقتها بأنها عرفت الحقيقة، وهذا الزواج رد فعل مرضي بسببه.

جاء صوت فهد متوتراً:

- لوسين، انتي بتضيّعي نفسك، متاخديش قرار بسرعة، دة قرار مرَضِي وهيتعبك أكتر، صدقيني كدة هتقتلي نفسك، أنا آسف إني كدبت، بس ماتقتليش نفسك بسببي، لوسين أنا بحبك، مش حبّ صحاب، أنا بحبّك بجد، ورجِعت عشانك، رجعت عشان انتي شاغلة بالي دايمًا، أنا بحبك أرجوكي ماتعمليش كدة...

قاطعته بصرامة:

- اكدب اكدب، ما انت متعود تكدب...

حاول أن يقاطعها، لكن صرخت في وجهه:

- انت كداب، انت أوسخ إنسان شوفته في حياتي، مش عاوزة أشوف رقمك بيتصل بيا تاني، ومش عاوزة أشوف وشك تاني أبدًا.

أغلقت الهاتف... وبداخلها ينهاار.

انفجر فهد بالبكاء، حتى اجتمع أهل بيته في غرفته من صوته، الكل يعتريهم قلق عليه، أول مرة يرونه يبكي، لكنه لا يبكي بل هو ينهار، ضمّته أمه وهي تبكي على بكائه، وأخته تبكي في حضن والدها، وهنا أيضًا لا يمكنك التفريق بين أصواتهم.

(هناك كذبة بيضاء... وهناك كذبة تقتل كل شيء)

تم زواج مصعب ولوسين، وكان الشهود على عقد قرانهم حسين ورجل لا يعرفونه، أخذ مصعب الأوراق وذهب؛ ليوثقها في السجل المدني مع رأفت، حتى يضمن أمان لوسين، عادت لوسين لمنزلها، كانت تشبه القمر، مثل اسمها تمامًا، حتى أن حسين بكى عند رؤيتها بفستان الزفاف، خلعَت الفستان وارتدت بيجامة على شكل (بوكيمون)، انتظرَت قدوم مصعب وقلبها يخفق من الخوف.

تحدث رأفت مع مصعب، وأخبره بالخطة التي سوف تتم، وأخبره أن يوصل للُوسين بأنها في أجازة مفتوحة، كي يضمن الأمان لها؛ لأنه خائف أن يتتبعها والدها، فكانت تحمل عيون والدها كل شرور العالم، استمع له مصعب بكل تركيز، ودّعه رأفت بحرارة وأوصاه أن يعتني بها، صرح مصعب لرأفت بحبه الحقيقي لها، وأنه لن يمسّ منها شعرة، انطلق مصعب لزوجته الورقية، وهو مبتسم.

اتصل حسين بها ليطمئن عليها:

- أخبارك إيه؟
- أنا كويسة...
- انتي كدابة.. انتي منهارة.

- ماتخافش عليّا... هبقى كويسة قريب.
- خدي بالك من نفسك، مصعب مهما كان راجل!
- عارفة... بس مصعب إنسان سوي ومحترم.
- خدي بالك من نفسك برضه.
- حاضر، الباب بيرن سلام دلوقتي.

أغلقت معه وذهبت لتفتح الباب، وجدت مصعب أمامها، ابتسمت له ابتسامة قلقة.

مصعب:

- ماتخافيش، أنا عارف إنه جواز صوري، من النهاردة أنا هنام في الصالة، و انتي نامي في أوضتك عادي.

شعرت بأمان:

- أنا هطلب لنا أكل، تحب تاكل إيه؟
- سمك... بهزر عاوز آكل فراخ.

ضحكت وذهبت كي تطلب الطعام، وضع حقيبته وبدأ في تفريغها من الملابس، عادت له وساعدته، تتلامس أيديهم دون قصد، احمرّت وجنتاها، جاء الطعام وملأوا بطونهم، شاهدوا التلفاز سويًا، وذهب كلاهما للنوم، هي في غرفتها، وهو على أريكته.

****

مع انهيار فهد انهارَت عائلته معه، تم نقله للمشفى؛ لأنه فقد وعيَه تمامًا، أخبر الطبيب والد فهد بأنه يعاني انهيارًا عصبيًا حادًا، وأنه يجب أن يظل تحت المراقبة إلى أن يستفيق، يرقد فهد على السرير، وعائلته تحيط به، بدأ فهد في قول كلام وهو نائم:

- لوسين... لا... لوسين... لا.

أخذت أخته الهاتف وبدأت في البحث عن هذا الاسم، وجدت صاحبة هذا الاسم، نقلت الرقم بسرعة دون أن يلاحظ والداها، خرجت من الغرفة مسرعة وهاتفت الرقم، لم يجِبها، عاودت الاتصال أكثر من خمس مرات، لكن لم يجبها أحد، استسلمت وعادت للغرفة.

(قلبك ليس ملكك... قلبك ملك من تحب)

في هذه الليلة نامت لوسين كما لم تنم من قبل، ونام مصعب أسير الأفكار، نهضت لوسين قبلَه وأعدت الفطور لهما، وضعت الطعام على المائدة وذهبت كي تيقظه:

- مصعب، الفطارجاهز.

فتح عينيه في كسل:

- صباح الخير!
- صباح النور، يلا عشان عاملالَك فطارجميل.

اعتدل في جلسته ونهض، رائحة الفطور شهية، لكن عليه قضاء حاجته الأول، جلسَت هي على المائدة وبدأت في وضع الطعام على الصحون، عاد هو بعد أن غسل وجهه.

- انتي بتعرفي تطبخي كمان، يا بختي بيكي والله.

أنهى جملته و ابتسم، بينما قالت لوسين:

- مش معنى إني بشتغل إني مابعرفش أطبخ، وطبعًا يا بختك بيّا.

ضحكا في نفس الوقت، وبدأ مصعب في الأكل، ظلت تر اقبه بصمت، هل حقًا الآن متزوجة من هذه الرجل، هل حقًا سنقضي حياتنا معًا، أم عندما ينتهي أمر والدي سننفصل، يمتلك عينين جميلتين، وضحكة رائعة، وجهه مريح للأعصاب:

- ممكن تبطّلي تر اقبيني وتاكلي!
- ماكنتش بر اقبك على فكرة وبعديـ...

دس الطعام في فمها، و ابتسم.

- على فكرة أنا كمان بر اقبك و انتي مش مركّزة، خلصي أكل ور اقبيني براحتك، ماتنسيش إنك نزفتي كتير!

بدأت في الأكل هي أيضًا، ذهبت بتفكيرها إليه، كيف حاله الآن، هل حقًا كان يعني ما قال؟ هل حقًا أحبني؟ لماذا تذكرته الآن؟! لماذا لا أنساه؟! هل هو حزين؟ شعرتُ بالصدق في كلماته، لماذا أجبته بكل برود؟! لماذا أغلقت الهاتف؟! لماذا لم أسمعه حتى ينتهي من كلامه؟! لماذا قلبي يعتصر ألمًا، لماذا أبكي الآن؟!

- انتي بتعيطي ليه؟ هو أنا قولت حاجة ضايقتك!

لم تجبه، ضمها إليه، وبكى معها، هدأت قليلًا.

- أنا عاوزة أنام.
- روحي نامي و أنا هنزل أجيب طلبات البيت.
- لا، ممكن تنام جنبي؟

هل هذا تصريح بأنها تعتبره زوجًا لها، أم هي تحتاج فقط احتواء.

- حاضر.

تعالت دقات قلبه عند دخوله غرفتها، نام بجانبها، وغفيَت هي في حضنه، نامت هي واشتعلَت بداخله مشاعر... مشاعر حب ممزوجة بشيء آخر.

أصيب فهد بصدمه قوية، لكن عاد إلى منزله واستأنف عمله من جديد، لم يخبر عائلته بما حدث، لكن هُم قد فهموا ما حدث، رغم أن والدته تعرفه جيدًا، وتعرف أنه لم يحب قط، لكن من منّا لم يختبر الحب، تركوه بسلام، وعاد إلى شقته وحيدًا.

الرفقة حتى لو لم تكن كاملة فهي تفي بالغرض، مرّ على زواجهم شهر كامل، وتم نشر في الوسط بأن فاطمة تزوّجَت، وهي الآن تقضي شهر عسلها خارج البلاد، لم يكن صعبًا على فهد معرفة هذه المعلومة، لكن تظاهر بالقوة، وصار يذهب إلى طبيب نفسي، هذه هي، عندما ينقلب السحر على الساحر، عادت حياته كالسابق، لكن أسوء بمراحل، فقد خسر من خفق لأجلها قلبه، وهي الآن في أحضان رجل آخر، يحاول أن ينساها بكل ما أوتي من قوة، يمكنك خداع عقلك، لكن قلبك يظل ملكَ من أحببت.

اقترب مصعب من لوسين، صارو كالأزواج فعلًا، لكن مع وقف التنفيذ، صارت تحترم وجوده قبل غيابه، تعد له الطعام، تنظم ملابسه، تشتاق له عندما يغيب عنها، العِشرَة تولّد الحب، أو التعود، حاولَت هي أيضًا نسيانه، لكن دون جدوى، شعر مصعب بأنها لا تميل إليه، هي فقط تؤدي واجب الزواج الصوري، لا تمانع خروجه وسفره، لا تعلق على أي شيء، حتى عندما خرجوا مع أصدقائه، كانت لا تنطق بحرف، ولا يعير اهتمامها مغازلة الفتيات له، إنها فقط تؤدي واجبها، قرر مصعب عند عودته اليوم سيصارحها بكل شيء.. حتى مشاعره.

و في نفس اليوم قررَت لوسين بأنها ستواجه أهلها، ولن تهرب بعد اليوم، قررَت أن تواجه الماضي بكل مخاطره، قررت أنها ستُشفَى من جروحها بالتدريج، بعثت رسالة لحسين ومصعب ور أفت، وقالت فيها أنها قد ملت الخوف، حان وقت المواجهة، بعثَتها وطرقت باب بيتها القديم، وتحمل في حقيبتها مسدسًا.

- مين؟
- افتحي يا سارة، أنا أختك!

فتحت سارة الباب بسرعة، احتضنَت أختها، مرّ عليهما العديد من السنوات، بكت سارة لكن لم تبكِ لوسين، اجتمع في ثو اني جميع أهل المنزل، لكن كان أخوها خارج المنزل و أبوها في سبات عميق، أمرَتهم بالصمت، وأن لا وقت لديها للكلام، قد جاءت إلى مهمة محددة، دخلت غرفه والدها بهدوء وأخرجت السلاح.

- اصحى يا حمدي، اصحى يا حمدي قولت.

أنهت جملتها وهي تحمل كل قسوة البشر، هرع والدها، انصدم من تواجدها أمامه، و أيضًا تحمل سلاحًا، كأنها مدربة على حمله.

- انتي ناوية تقتليني؟
- لا، أنا جاية عشان أنا مش جبانة، وعمري ما هكون جبانة، أنا جاية عشان سؤال واحد، انت عملت فيّا كده ليه؟

أعتدل في جلسته:

- عملت إيه فيكي؟! انتي عامية! أنا أبوكي، ومحدش هيحبك ويخاف عليكي قدي.
- ما هو واضح حبك، دة انت كنت عاوز تقتلني.

قاطعها بأعلى صوته:

- أقتل بنتي، بنتي اللي كنت فاكرها هتشيلني، بنتي اللي بعد ما مشيت قولت هترجع عشان ملهاش غيري، أنا سيبتك تمشي عشان دكتورك قال كدة، أنا بموت كل يوم و انتي بعيدة عني، انتي طول عمرك عامية ومش بتشوفي غير نص الصورة، مين كان بيسهر و انتي تعبانة؟ أمك كانت بتنام وأكمل أنا، مين اللي داس على نفسه عشان تتخطبي لأوسخ بني آدم في الأرض، انتي فاكرة إني مش بحبك، انتي بنتي، انتي بنتي يا لوسين، انتي بنتي ومالیش غيرك، تحبي أفكّرك بحاجات أكيد نسيتيها عشان مرضِك، و انتي صغيرة قرِيب لينا حاول يعتدِي عليكي، وبسبب دة انتي دخلتي في حالة نفسيه صعبة، وفضِلْتي سنه كاملة مش بتنطقي، وبعديها رجعتِي تتكلمي، بس مارجعتيش لوسين، رجعتي وحش جامح، لو أنا وأمك اتكلمنا معاكي على حاجة بتحبسي نفسك، لو حَد من أخواتك ضايقك بتجرحهم، كنتي بتضربي أخوكي بعنف، كنتي بتحرضّي إخواتك عليه، انتي بسببك أنا خسِرت شغلي، طبعًا انتي مش فاكرة حاجة ومش هتفتكري، فضلتِي كدة لحد ما حبّيتي الشخص دة، سألت عنه وعرفت أصله، لولا إنك هددتِي بالانتحار ماكنتش قِبلت، انتي كدة، عامية ومش بتشوفي ومش بتحاولي تفهمي، كل اللي يهمك أنتي بس.

ذهلت من كلماته، بكت، تذكرت فعلًا أنها كانت طفلة عنيدة وعاقة، نظرَت له ووضعت فوهة المسدس على عنقها، معدل تنفسها يزيد، ضربات قلبها أعلى من ضجيج الكون، لمست الزناد بأناملها، زادت قوة أناملها، وتحرك الزناد، لم تعد تسمع شيئًا، فقط صوت صفير عالي، وبعض الأصوات تعرفها حق المعرفة، رأت وجه والدها يبكي، وأول مرة تنظر له بحب، استجمعَت ما لديها من قوة وقالت:

- أنا آسفة يا بابا، سامِحني وقول لربنا يسامحني.

****

اجتمع الكل في المشفى، زوجها الذي لم يتزوجها بعد، صديقها، مديرها، عائلتها، حالتها كانت حرجة لكن تم تدارك الجرح، ووضعها في العناية المركزة، أخبر الطبيب والدها بأنها لن تستعيد وعيها في الوقت الحالي، وقد يطول مدة إقامتها هنا، لم ترحمها الصحافة السوداء، تم نشر شائعات كثيرة بأنها تعرضت للاستهداف من رجال الدولة، تم نشر الكثير من الأشياء، لكن الحقيقة لا يعلمها غير المقربين، وصلت الإشاعات لفهد، وعرف فورًا بأنها هي من فعلتها، تم وضع لوسين تحت الحماية وأصبح مكانها معروفًا، لم يتماسك فهد وذهب فورًا عند علمه لذلك الخبر، بالطبع استطاع دخول المشفى بسبب معارفه، ووصل إلى غرفتها، يجلس رجل كبير في السن على الأرض وبجانبه شاب، وشابان يبكيان بحرقة، وفتاتان وامرأة تبكي في منتصفهم، اقترب قليلًا وقال:

- هي لوسين هنا؟

نظر مصعب فورًا:

- انت مين؟
- أنا أسمي فهد....
- عاوز منها إيه، مش كفاية كدة!

نظر الجميع إليهما ولا أحد منهم يعلم شيئًا، تذكر مصعب تخاريفها وهي نائمة باسمه، تذكر بكاءها الذي حاولت جاهدةً إخفاءه عنه، تذكر كلامها وانهيارها، مصعب يعلم جيدًا بأنه السبب في كل شيء، صرخ في وجهه:

- امشي من هنا، أنا جوزها!

- مش همشي من هنا، على ما أعتقد انت فاهم كل حاجة، أنا مشِيت مرة بس مش همشي تاني.

ركض مصعب وانقضّ عليه باللكمات مبرحة، لم يقاوم فهد، فقط تلقَى اللكمات بكل صبر، إلى أن انهارت قوة مصعب وبكى كالأطفال، الكل في صدمة، لم يقدروا حتى الفصل بينهما، بكى فهد هو الآخر، بكوا جميعًا، ولوسين كعادتها في عالم آخر.

****

حاول رأفت بأن يسقط الإشاعات لكن دون جدوى، فوضع في قناته خبر رسمي بأن ما حدث لها كان صدفة بحتة، وتم التعاقد مع الشرطة للبحث عن المجرم، وسيتم عرض كل التطورات في هذه الواقعة، طبعًا الشرطة تعرف الحقيقة، ولأن هذه البلد بلد تسير بالمحسوبية، نجح بإقناع الشرطة بهذه الفكرة.

****

بدأت تعود صحة لوسين إليها بمرور أسبوع، الرصاصة أصابت كتفها، وبدأ يعود وعيها إليها، لكنها فاقدة الذاكرة تمامًا، لا تتذكر غير عائلتها، وأول شيء نطقته هو:

- أنا فين، ومين دول؟
-

لم يفهم منهم أحد، ترجلت أمها وسألتها:

- انتي في المستشفى يا حبيبتي!
- أنا ليه هنا؟ ومين الناس دول؟

لم يستوعب فهد ماذا يحدث، لكن يجب أن يحاول:

- ممكن يا فاطمة تقوليلي آخر حاجة فكراها.

تعمّد أن يقول اسم فاطمة.

- أنا اسمي لوسين مش فاطمة! انت مين؟

نظر الجميع لفهد، كانت نظراتهم تدل أن يجب عليه المتابعة:

- انتي إيه آخر حاجة فاكراها يا لوسين؟
- أنا كنت بلعب مع حسين، و ابن عمتي أخدني... هو حسين فين؟

ترجل حسين بسرعة:

- أنا أهو يا لوسين، فاكر اني؟

ضربه فهد على ذراعه وأمره أن يصمت.

- لا حسين مش كبير يا عمو، أنا وحسين قد بعض.

لم تحتمل الأم وبكت، وبكوا أخوتها معها، أمرهم فهد بالخروج حالًا؛ كي لا تهرع لوسين، خرجوا جميع الأناث من الغرفة، اقتربَ فهد لها، أمسك يدها بلطف بالغ:

- أنتي عندك كام سنة يا شطورة؟

أجابته وهي متحمسة:

- أنا عندي ١١ سنة.

لم يقاوم مصعب وخرج؛ لأنه سيبكي الآن، أخذ فهد هاتفه واتصل بشخص، اقترب والد لوسين منها:

- حبيبتي القمورة، انتي عارفة أنا مين؟
- انت بابا، انتوا ليه بتسألوني كتير، هو أنا عملت حاجة غلط؟

صرخ فهد في وجه أبيها وأمره بالصمت، كثر الأسئلة قد يوصلها لمرحلة صعبة، صمت والدها وانسحبَ من الغرفة، جميعهم في الخارج مذهولين مما يحدث، ولا أحد يعلم إجابة غير فهد.

خرج فهد من الغرفة، ركضوا صوبه:

- مالها لوسين؟

انهار فهد في لحظتها، انهاروا معه، وكعادتها لوسين، هي في عالم والجميع في عالم آخر، هدأ فهد قليلًا، وبدأ في الكلام:

- لوسين دلوقتي طفلة عندها ١١ سنة، عقلها قرر يحميها من الوجع، ولمّا حضرتك واجهتها بالحقيقة من كتر صدمتها عقلها حبسها، وهي فاكرة حضرتك ومامتها عشان شكلكم متغيرش كتير، بس كل ذكرياتها الجديدة ممسوحة، بمعنى أدق موجودة بس في صندوق صعب الوصول له، وكل اللي فاكراه هو الإحدى عشر سنة بس!

انهال الجميع عليه بأسئلة، صرخ في وجههم وبكى، الجميع في صدمة، أمر فهد بنقل لوسين لمصحة نفسية على الفور، وأمر طاقم التمريض بعزلها عن جميع المرضى، تم نقلها بأمان، واستقرت في غرفة لوحدها، وأصبح فهد المسؤول عن حالتها.

(الظلام بداخلنا... والنور أقوى)

****

(مصعب)

يرقد مصعب على أريكته في بيت لوسين، يعد الفطار، يشاهد التلفاز، أخذ أجازة مفتوحة من عمله؛ كي يظل بجانبها، رغم أن الزيارات ممنوعة، لكن فهد كل أسبوعين يسمح لهم رؤيتها من وراء الزجاج، أصبحت هزيلة، اختفت القوة من عينيها، ويمكنه الجزم أنها متعلقة بفهد تعلق شديد، تمشي وراءه كظله، تضحك في حضوره، يعلم أنه يشعر بالغيرة تجاه فهد، لكن ما بيديه حيلة، يقلب في هاتفه صورهما، يضحك تارة، ويبكي تارة، رغم أنها لم تحبه قط، لكن يكفي حبه لها، لوسين كانت مميزة، فتاة تلقائية، حنونة، لطيفة، صادقة، والأهم طبيعية حد النقاء، أحب ضحكتها رغم قلبها المفطور، أحب تظاهرها بالقوة، أحب اهتمامها به، كانت صادقة في اهتمامها، لكن لم تحبه قط، قد اعتادت وجوده، لكن الحب يبعد كل البعد عن الاعتياد، أغلق هاتفه ونام وهو يبكي.

(حسين)

استأنف حسين عمله، لكن حياته أصبحت خاوية، كم يشتاق لفتاته الصغيرة لوسين، اشتاق لوجودها، اشتاق لمزاحها، اشتاق لدرعه، لوسين كانت درعه، كانت تسنده وقت ضعفه، كانت صديقته المخلصة، التي إذا مات وعاش مجددًا لن يجد مثلها، غيّر اسم مطعمه، وجعله باسمها، وأجّل زفافه إلى أن تعود لوسين كما عرفها من قبل.

****

(العائلة)

أصاب منزل لوسين الموت، لم تحتمل والدتها الصدمة وتوفيت بعد دخولها المصحة بأسبوعين، كلهم صاروا جسد بلا روح، حمدي خسر بنته وزوجته في آن واحد، وصار قعيد الفراش، أخوتها يحملون حملًا ثقيلًا، وأخوها قرر اعتزال البشر، يذهب لعمله ويعود إلى المنزل كي ينام، يمكننا أن نطلق على منزلهم منزل الموتى.

****

(رأفت)

أعلن في الوسط الإعلامي بأن فاطمة في أجازة مفتوحة؛ كي تستعيد عافيتها، أصيب عمله قليلًا باختفاء فاطمة من الساحة، لكنه حزين عليها، فكانت لوسين ذراعه الذي يستند عليه وقت الشدة.

(فهد)

بداخل فهد مشاعر كثيرة، سعيد بأنه جانبها طوال الوقت، ولكن حزين على حالها، إنها حقًا في صدمة قوية، استشار جميع الأطباء حول العالم، وأجمعوا كلهم بأنها حالة نادرة الحدوث، ولم يخرج منها مريض من قبل، لم يستسلم فهد، كيف يستسلم وهو من جعلها تصل إلى هذه المرحلة، قرأ فهد في فترة علاجه لها العديد من الكتب والمراجع، لكن دون جدوى، لم تذكر حالتها غير في مرجع واحد، وكانت المعلومات ضئيلة جدًا، حاول فهد بكل قوته أن يذكّرها به، لكنها محبوسة بداخل عقلها اللعين.

****

(لوسين)

رغم أنها فتاه صغيرة، لكن تملك مشاعر قوية اتجاه فهد، تحب تواجده، تشتاق إليه، تكتب له رسائل صغيرة وتدسها في معطفه، لم يعلّق لها قط عن تلك الرسائل، لكنها لم تكفّ عن الكتابة، أخبرته مرة بأنها تريد الزواج منه عندما تكبر، بكى في لحظتها، ظنّت أنها اقترفت خطأ ما، ضمتهُ إليها، تذكرت شيئًا غريب، لكنها لم تعر تلك الذكرى أي اهتمام، تأتيها الكثير من الذكريات الغريبة، تخاف أن تخبر فهد بها، لا تريد أن ينظر لها بأنها مجنونة، تريد أن يراها أنثى ناضجة، أتمّت عامها الثاني عشر، ومازالت نظرة فهد لها كما هي، طفلته المدلّلة، مرّ على تواجدها هنا عام كامل، عام وهي في صحبة فهد، يمنحها فهد الأمان والدفء، تطلب منه كل شيء ويحضرها لها في لحظتها، اشتاقت للعالم الخارجي، للعبها في الشارع مع حسين.

استجمعت قوتها وقررت أن تطلب منه هذا الطلب مره أخرى، لديها شعور بالرفض، لكن قالت له بكل براءة:

- ممكن يا دكتور فهد أخرج من هنا يوم؟

فهد:

- انتي عاوزة تشوفي عيلتك؟ تحبي أخليهم ييجوا زيارة كمان؟

لوسين:

- لا.. عاوزة أخرج معاك، وعاوزة تجبلي أيس كريم!
- حاضر، بس هبلّغ المكان هنا إنك عاوزة تخرجي، وهخرجك خروجة حلوة.

ابتسمت له، لكن كانت ابتسامتها مثل ابتسامة لوسين ذات ٢٧ عام.

انطلق فهد ليأخذ الإجراءات اللازمة، وهو في طريقه لغرفة الإدارة وقعت عينيه على جملة مكتوبة في الحائط (الحب هو علاج كل الأمراض... انشروا الحب)، كيف لم يفكر في هذه المقولة من قبل، هل حقًا عندما نصل لليأس تصبح كل الكلمات ذات معنى، ركض إلى مكتبه وجمع كل قصاصات الورق التي كانت تكتبها له، (دكتور فهد شكرًا إنك جنبي)، (دكتور ريحتك حلوة، بس بتفكرني بحاجات غريبة)، (دكتور أنا ممتنة ليك جدًا)، (دكتور أنا مش عاوزة أخرج من هنا وأسيبك، أرجوك خليني هنا)، العديد من الرسائل، كيف لم ينتبه لها من قبل، بحث داخل معطفه، رسالة جديدة (فهد، نفسي بجد نخرج سوا، ممكن نخرج؟)، هذه أول مرة تنطق اسمه من غير دكتور، لم يعد يفهم شيئًا، ركض لدكتور إبراهيم.

- دكتور الحقني!

دكتور إبراهيم:

- فيه إيه؟

عرض أمامه كل الأوراق، وأعطاه آخر ورقة كتبتها:

- أنا مش فاهم حاجة!

تفحص دكتور إبراهيم الأوراق بهدوء وعناية، باتَت على وجهه علامات الدهشة:

- أنا مش عاوز أوصل لتحليل بسرعة، بس أعتقد خروجها معاك ممكن يساعدنا؛ لأن في كل رسايلها بتقول لك بحبك بس بطريقة غير مباشرة، وواضح إنها بتفتكر حاجات بس خايفة تقول، المهم انزل حالًا اعمل خروج يوم كامل تحت إشر افك.

فهد:

- حاضر يا دكتور.. حالًا!

أنهى الإجراءات بسرعة، وذهب لغرفتها الصغيرة، قرع باب غرفتها في هدوء:

- ممكن أدخل؟

ركضت للباب وفتحته:

- ها هنخرج؟

- آه هنخرج، وجايب لك فستان صغير يليق على بنوتة جميلة زيك!

أخذت الفستان من يديه وارتدته بسرعة، أمسك يديها واتجه نحو ردهة الاستقبال، استوقف أمام مرآه كبيرة:

- ممكن تشوفي نفسك بالفستان!

رفعت عيناها، تمتلك جسدًا نحيلًا، رغم أنه صارخ النضوج، ملامحها تبدو أكبر من عمرها الفعلي، لم تهتم لمنظرها هي، لكن لفت انتباهها منظرهم سويًا، تشعر بأنها كانت بجانبه من قبل، أنها كانت في حضنه، قطع حبل تفكيرها صوته الدافئ:

- شايفة إية يا قطة؟

نظرت له نظرة انتماء:

- شايفاك!

زلزلت هذه الكلمة البسيطة كيانه، ابتسم لها وقبل يديها:

- يلا نخرج!

عند باب المشفى تم إعداد سيارة خاصة لهما، لكن أخبرهم بأنه سيتحرك بسيارته، فتح لها باب السيارة، لامَس جسدها جلد المقعد، اقشعر بدنها، صوت في عقلها يتردد ويقول (طيب حلو)، (هو لازم أكون متحمس يعني)، العديد من الجمل تطرق عقلها، أمسكت رأسها بألم واضح، وضع يديه على شعرها:

- انتي كويسة؟

- آه، أنا كويسة، بس دماغي وجعاني!
- تحبي نرجع؟
- لا أنا كويسة.

قالتها بحماس مصطنع.

تحرك بالسيارة، ير اقبها بصمت، تبتسم أحيانًا، لكن أغلب الوقت يبدو عليها الألم، يسألها عن حالها، تجيبه أنها بخير، يعلم أنها تتذكر أشياء، لكن ما هي تلك الذكريات؟ وهل فكرة خروجها من المشفى فكرة جيدة؟ وضع أغنية قد استمعت لها قديمًا، عند سماعها لأول جملة من الأغنية هرعَت، ذكريات فوق طاقتها، أمرَته بأن يغلقها، فعل كما طلبت منه، سألها مجددًا عن حالها، أجابته مرة أخرى بأنها بخير، وصل للمكان المنشود، ترجل من سيارته وفتح لها الباب:

- اتفضلي يا قطة.

خرجت من السيارة وهي محملة بوجع الكون، رأسها محمل بالكثير من الأحلام، هل هي أحلام أم و اقع؟ شعرت بيده تلمس يديها، هدأت ضربات قلبها، رأت وجهه لكن هذه المرة مختلفًا، ملامحه تبدو أصغر، أغمضَت عينيها لدقيقة، عاد دكتور فهد لهيئته القديمة، ماذا حلّ بي، هل أنا أحلم؟! أمسكت بيديه بقوة، تمشي وهي خاضعة لخطو اته، داخلها جحيم بعينيه، بركان وقد اقترب انفجاره، وضعت أول قدم في المطعم، اجتاحتها رغبة في البكاء، وجمل مرة أخرى تطرق عقلها دون رحمة.

- هنقعد هناك.
- ماشي.
- انتي كويسة؟

- آه... أنا كويسة.
- ليه في آخر رسالة كاتبة اسمي من غير دكتور؟

احمرّت وجنتاها ببراءة، حاولت جاهدةً إخفاء مشاعرها:

- نسيت أكتب دكتور، انت بتقرأ كل رسايلي؟
- أه... كلها!

اقتحم الحزن ملامحها:

- طيب ليه مش اتكلمت، ليه مش قولت إنك بتشوفها، ليه؟

للمرة الثانية يخذلها، للمرة الثانية يؤلم قلبها:

- أنا آسف يا لوسين، أنا آسف على كل حاجة.

بدأ في البكاء كالأطفال:

- أنا آسف يا لوسين إني وصلتك لكدة، سامحيني على كل حاجة عملتها فيكي، كل اللي بيحصلّك بسببي، أنا السبب في كل حاجة.

قالها بأعلى صوته:

- سامحيينيي..

أجهش في البكاء، لم يستعِب عقلها كلامه، بكَت هي أيضًا، أصوات كثيرة في عقلها، ذكريات تمر أمامها، أصاب جسدها هزات كثيرة، هرع فهد من منظرها، ضمها إليه وهو يصرخ، التفّ حولهم كل من كان في المطعم، صرخ في وجهه أحدهم: اطلب الإسعاف حالًا.

مازالت لوسين في تلك الحالة، يعرض الآن شريط ذكرياتها.....

(الوصول)

.....الفصل الأخير.....

طفلة تحمل جنون العالم بداخلها، ضحكتها واسعة، عيناها تبتسم لك، قلبها بريء، تمتلك جمال الحياه بداخلها.

تجلس على شيء قاسي، لا تدري ما هو، شعرت بالخوف منه، قامت وجلست على كرسي آخر، حملها مرة أخرى ووضعها على ذلك الشيء القاسي، لم يحدث لها هذا الموقف من قبل، تشعر بداخلها أن هناك خطب ما، قامت وتحركت صوب والدتها، احتفظَت بهذا السر لنفسها، لكن بعد يومين، لم يرحمها شره، حاول الاعتداء عليها، أنقذها حسين من قبضته، عادت لمنزلها بخطوات ثقيلة، عادت تلك الطفلة، لكن لم تعد لوسين...."

مراهقة طائشة، تجرح الجميع دون رحمة، تمتلك جسدًا مذهلًا، وعقلًا مبهرًا، كانت حلم جميع، لكن لم يكن حلمها غيره، أحبّته أكثر من روحها، أثّر عليها بالسلب، صارت تسرق لأجله، تكذب لأجله، احتلّ عقلها قبل قلبها، صار هو الحياة، ساعدته في السفر للخارج، وانتظرته، انتظرته كثيرًا، لكن ما يرحل لا يعود أبدًا، وإن عاد لن تتعرف عليه، رحل... ورحل معه ما تبقى لها من حب...

شابة ناضجة، صارخة الجمال، مذيعة ناجحة، تمتلك كل شيء، لا ينقصها غير ذلك الشعور الغريزي... (الأمان)، تعمل صباحًا، وليلًا مدمنة كحول، حياتها فارغة، كقلبها تمامًا، تجرح كل ما يحاول الاقتراب، تضحك أمام البشر، تبكي وحيدة، تريد الموت لكن تهابه، تتمنى الأمان لكن تهرب منه، شابة بلا روح...

(انتي بتعملي في نفسك كدة ليه؟!)، (انتي تقدري تكوني ملكة تاني بس ساعديني)، (مين فاطمة دي؟)، (انتي نضيفة بس جوّ الدنيا كان متَرَّب)، (انتي غبية!)، (أعتقد خلصتي كلامك، انتي لازم تنامي... أنا همشي وهسيب الورقة دي... هستناكي تكلميني)، (انت أول راجل يخش شقتي)، (ممكن تنام جنبي)، (أنا بحبِّك يا لوسين)، (انتي كدابة)، (للدرجة دي بتكرهي نفسك؟)، (انتي مش عاوزة تموتي... انتي عاوزه ترتاحي)، (أنا مسافر)، (تتجوزني يا مصعب)، (أنت كداب... انت أوسخ حد شوفته في حياتي)، (سامحني يا بابا.. وقول لربنا يسامحني)

****

الأجهزة متصلة بكل شبر في جسدها، يتناوب عليها الممرضون، لكن فهد لا يتركها لحظة، أخبر رئيسه بما حدث لها، لم يطمئنّ قلبه؛ لأنه أيضًا لا يعلم ما حلّ بها، مريضة غامضة، حالة تحتاج الدراسة لأعوام، مرّ يومان لم تستيقظ فيهم لحظة، وفهد لا يبرح من جانبها، استُدعِي فهد لمقابلة دكتور إبراهيم، وضع قُبْلة على جبينها وخرج.

د. إبراهيم:

- فيه أخبار جديدة؟

فهد:

- نايمة من ساعتها، وأمرتهم محدش يفوقها!

د. إبراهيم:

- فاكر لما قولت لك إن اللي بتعمله دة غلط، محدش دلوقتي عارف حالتها وصلت لإيه، مع إنها فعلًا حالة تستحق الدراسة، بس انت دمّرتها تمامًا!

فهد:

- عارف يا دكتور، عارف وندمان إني لعبت اللعبة دي، بس أنا فعلًا بحبها، وهعمل المستحيل عشان ترجع زي زمان.
- مفيش في إيدك حاجة تعملها، وأعتقد انت عارف دة كويس.

(الحب هو علاج كل الأمراض)

انقضى اليومان وهي لم تستيقظ بعد، عاد فهد لملازمة غرفتها، ينام على الكرسي بجانبها، يقرأ لها قصصًا، يقبّلها من الحين للآخر، يبكي بحرقة عليها، يتضرع للرحمن أن يشفيها، وكعادتها هي في عالم والجميع في عالم آخر.

تشعر بتخدر في قدميها، ورأسها تؤلمها، فتحَت عينها في كسل، يرقد فهد أمامها على الكرسي، ويغطّ في نوم عميق، تحركت وجلست على الأرض أمامه، لم تملِك ذاتها وأجهشت في البكاء، انتفض فهد من نومه، رآها تبكي عند قدميه، ضمها إليه بسرعة، ربَتَ على رأسها بحنان، تصرخ في حضنه بقوة، اجتمع طاقم التمريض في الغرفة، أشار لهم أن يرحلوا، بكاءها لا ينتهي، لدرجة أنه بدأ في البكاء معها:

- قوليلي مالك، أرجوكي كفاية عياط، أبوس إيدك اهدي...

أنهالت عليه بضربات حنونة، لا يدري من هي الآن، هل هي الطفلة أم الشابة، الحب وجع، ولو أنكر العالم ذلك، يجتاح الحب دون إذن، وما أن اجتاحك فأنت ملكه.

قالوا قديمًا إن الاحتياج نوع من أنواع الحب، لكن أقول أنا الحب هو الاحتياج، احتاج فهد وجودها، فكانت مصدر قوته، وضعفه، واحتاجته لأنها كانت فارغة، وامتلأت حياتها بظهوره، تعلّقَت بوجوده، بأمانه، كانت عارية أمامه، لم تحتَج أن تنطق كي يفهمَها، لكن في هذه اللحظة هو الجاهل وهي العالمة، تبكي جزعًا، ويبكي على بكائها، لا يدري ما بها، وهي تدري تمامًا ما به، هدأت قليلًا، لكن لم يهدأ، يبكي كالأطفال.

- فهد، اهدى.

- أنا آسف،أنا...

وضعت يدها على شفتيه، وأرغمته على السكوت.

- مش عاوزه أسمع، أنا عاوزة أرجع البيت.

- بس انتي لازم.....

قاطعته:

- أنا تعبت وعاوزة أرجع بيتي!

رحل فهد وهو يكفّف دموعه، بعث لها دكتور إبراهيم:

- ازيك يا لوسين؟

- عاوزة أرجع بيتي.

- عارف طبعًا، وحقك، بس لازم نتكلم الأول، إذا حضرتك مو افقة؟

- اتفضل.

- أولًا لازم تكوني عارفة انتي وضعِك إيه دلوقتي، هل عندِك علم بوضعك؟

- بعد إذنَك ممكن تخش في صلب الموضوع!

- تمام، انتي فضلتي في المصحة سنة وأكتر، فيه حاجات كتير اتغيّرت، ولازم تعرفيها، هبدأ فيهم واحدة واحدة، أولًا شغلك اتقال فيه إن اللي حصل لك عبارة عن فعل فردي وإن محدش كان مستهدفك، ولمّا حالتك اتدهورت قولنا إنك في أجازة عشان تسترجعي صحتك، دة

على صعيد شغلك، أما على صعيد حياتك مصعَب لسة يُعتبَر جوزك، أما على صعيد عيلتك، أنا آسف....

- فيه إيه! حصل إيه؟
- مامتك الله يرحمها!

لم تبكي والتزمت الصمت.

- أنا عارف إنك في صدمة، وعشان كدة أرجّح إنك تفضلي في المصحة فترة...

قاطعته بكل هدوء:

- أنا عاوزه أرجع بيتي، دة قرار نهائي، وكمان في أسرع وقت!
- تمام، هبلّغ أهلك حالًا، وهخلي فهد يخلص الورق ويكون معاكي.
- شكرًا ليك يا دكتور.

أغلق باب الغرفة وأمر الممرضين أن يراقبوا كل تحركاتها، انهارت هي بالبكاء، ذهب واتفق مع فهد على كل شيء، عاد لها فهد مسرعًا، مازالت تبكي.

- لوسين، انتي مالكيش ذنب في وفاة مامتك، أرجوكي اهدي.
- إزاي ماليش ذنب، رد عليا... بسببي أمي ماتت.
- لا مش ذنبك، ومش ذنبك إنك مريضة، ومش ذنبك إنك حبّيتي، ومش ذنبك إنك اتجرحتي، ومش ذنبك إنك وصلتي لكده...
-

صرخت في وجهه:

- رجّعني بيتي.
- حاضر، تحبي أرجعك أنا!
- رجعني وماتكلّمش حد من أهلي، عاوزة أقعد لوحدي.
- بس كدة خطر عليكي!
- لو في يوم حبتني بجد، رجعني بيتي!

صمت وو افق، لا يريد أن يعذبها أكثر من ذلك، أنهى كل الأوراق، جهزت حقيبتها و انطلقت لمنزلها الدافئ الخالي من ملامح الحياة.

(الشعور بالذنب.... قاتل)

****

فتحت باب السيارة، أخذت حقيبتها واستعدت للرحيل، حاول الحديث معها، لكن رفضت الكلام معه، تركت له تعليق بسيط بأنها ستحادثه غدًا، على الدرج تخطو، ومع كل خطوة يمغصها قلبها، مع كل خطوة تشتاق، مع كل خطوة تبكي، مع كل خطوة الغربة تجتاحها، فتحت باب شقتها، لم تهتم بشيء، ذهبت إلى غرفتها كي تبكي كعادتها، كم احتملتها هذه الغرفة القاتمة، ارتمَت على السرير وبدأت في البكاء، صوت أتى مذهولًا:

- مين هنا؟!

لم تتعرف على الصوت، ذهبت والرعب رفيقها، ذهبت بهدوء لمصدر الصوت، اتسعت حدقة أعينهما هما الاثنين، وجدها أمامه، وعيناها تحمل آثار بكاء، ركض صوبها، ضمها بجسده الهزيل:

- وحشتيني... بحبك.

شعور آخر بالذنب، أحبها هو، ولم تحبه قط.
استكانت في حضنه، حتى هدأ تمامًا.

- وحشتيني!

- مش عاوزة أظلمك معايا.

مصعب:

- أنا راضي بالظلم، أنا عاوزِك معايا زي ما احنا، حتى لو جواز صوري.

صرخت في وجهه هو أيضًا:

- كفاية، أنا مش عاوزة أظلم حد تاني معايا، كفاية أرجوك، ارحمني، مش شايف منظرك بقى عامل إزاي، كل ده بسببي....

قطع حديثها جرس الباب، تركته متعمدة وفتحته، كان قابع وراء الباب فهد.

- عاوز إيه انت كمان؟

فهد:

- ماقدرتش أسيبك!

ركض مصعب اتجاه الباب، رأى فهد، وكانت هذه رسالة من الله له، لم ينطق بحرف، ذهب للغرفة وتركهم بسلام.

- ارحموني انتوا الاتنين، ارحموني.

ركضت لغرفتها وهي تبكي، ركض خلفها فهد، وجدت مصعب يستعد للرحيل، لكنه لا يبكي، ولا ينطق بحرف.

- انت رايح فين؟!

لم يجيبها.

- بقول لَك رايح فين؟

نظر لها وهو يبتسم:

- لازم أمشي، عشان أنا ماليش مكان هنا، أنا خلاص مطّمن عليكي دلوقتي!

لوسين:

- يعني إيه؟

مصعب:

- كفاية انتي لحد كده، ارحميني انتي!

أخذ حقيبته ورحل مسرعًا، توقف عند الباب وقال:

- فاطمة أو لوسين، أرجوكي اتعالجي، عشان انتي بتدمري نفسك وبتدمرينا معاكي... ماتقلقيش عليا.

العالم ينهار من تحت قدميها، فهد مذهول من قوة مصعب، كيف يتخلى عن حبه بهذه السهولة لأجله، همّت لوسين للركض خلفه، لكن بكى مصعب وقال لها بكل ضعف:

- خليكي مكانك، ماتعمليش حاجة هتندمي عليها بعدين، وزي ما قولت لك، ماتقلقيش عليّا، فهد، خُد بالك منها، واحجزلي مكان في المصحة عندك.

أغلق الباب، لم تستطع قدم لوسين حملها، انهارت تمامًا، حاول فهد الاقتراب منها، صرخت بكل قوتها:

- اطلع برة انت كمان، كفاية، ارحموا نفسكم مني، أنا عبارة عن مرض بيمشي، أنا سرطان، ابعدوا عني.

فهد:

- لوسين انتي...

أمسكت يده، و اتجهت صوب الباب:

- امشي، كفاية...

أغلقت الباب في وجهه، تضرّع كي تفتحه، لكن كان قرارها صارمًا، سكن تمامًا وظل أمام الباب، لم تستطع احتمال الشعور بالذنب، أولًا أمها ثانيًا مصعب، وأخيرًا فهد، كل ما يدور في عقلها، أنها يجب أن تقضي على فاطمة، يجب أن تموت فاطمة، الوحش الكاسر، وكاسرة قلوب الرجال، ليس الرجال فقط، بل الجميع، يجب أن أقتلكِ، أنتِ السبب، أنتِ الوحش الذي بداخلي، أنتِ سبب كل شيء، قتلُك هو الحل، حتى لو سأموت معكِ، بحثَت في كل مكان عن شفرات الحلاقة، وجدَت واحدة، فتحتها بشموخ المنتصر.

(فاطمة)، ظننتك درعي، ظننتُ عند صنعك بأنكِ القوية، ظننتُك القرار الصحيح، دمرتِ كل شيء، دمرتِ نقائي، وأعدمتِ بقائي، صرتُ سجينة حضورك، ودفينة خلودك، كنتُ أَمَة خاضعة، وحبيبة مخلصة لكِ، خسرتُ كل شيء، أمي وأبي، زوج وحبيب، حياتي وعملي، والأهم خسرت روحي، سألتكِ قديمًا ما هي الروح، قلتِ لي أنها الأنفاس التي نأخذها، لكن اليوم إجابتي لكِ، الروح هي الأنفاس التي نأخذها بحب، بأمل، بانتماء، فما فائدة النفس لجثة هامدة، لا تعي أنها حية من الأساس، فاطمة أيتها المذيعة وكاسرة الرجال، اليوم هو الخلاص، اليوم هو المقصاص.

(لوسين)، ظننتكِ درعي، ظننتكِ الحامية والباقية، أنتِ الطفلة الساذجة، أنتِ من صنعتيني، في ذلك اليوم، لا في عدة أيام، يوم تحرّشه بكِ، يوم وصمكِ، يوم هجرانكِ، قد خلقتُ على مراحل، هل تعتقدي سأموت في ثوانٍ، لوسين محبوبتي، أنا مرضك، أنا لعنتك، لكنك لا تملكين اللون الرمادي، هل تنكرين حمايتي لك؟! أنا من حميتك من الوجع، أنا التي لم أتركك للحظة، أنا التي حاربتُ معكِ قساوة العالم، واليوم تودين تركي، من الذي حارب معك الخوف، من الذي احتملك بكل جنونك، أجيبيني؟

أنتِ الجنون، أنتِ العزلة، أنتِ شياطيني، أنتِ الوجع والوجم والألم، أنتِ القسوة، أنتِ المرض، واليوم هو القصاص، اليوم هو موتكِ وموتي.

أمسكَت الشفرة، تصرخ فاطمة، لا ليست فاطمة، مرضها يصرخ، صرخَت هي في وجهها:

- خرسي.. موتي.

غرزتها بعزم ما فيها من قوة، تطاير الدم، ومع الدماء تتطاير روحها، أو ما تبقى منها.

المرض النفسي هو ذئب يتضور جوعًا، غذائه الأمل، والأمل هو الحياة، فكيف يحيا الإنسان بدون أمل، أمل للغد، أمل للحب، أمل للكفاح، أخيرًا أمل للحياة، المرض النفسي واقع، المرض النفسي بالجوار، بل المرض النفسي بداخلنا، حتى لو أنكرتم، جميعنا مرضى، بعضنا يريد الأمان، والبعض يريد الانتماء، والبعض يريد البقاء، والبعض يريد الاكتفاء، والبعض يريد الحب، لكن كلنا نريد الأهم من كل هذا، التقبل الغير مشروط، أن تتقبل اختلافي، جنوني، ذكائي، نوري، ظلمتي، حبي وكرهي، أن تتقبلني بكل ما بداخلي من عوالم، فلنتقبل بعضنا البعض، فنحن بشر، خطائون بطبعنا، تقبلني؛ لأن العالم موحش من غير التقبل.

(التقبل الغير مشروط هو العلاج.. هو الحقيقة... هو الحل)

الخاتمة

الحياة هي طريق طويل، كلنا فترات في حياة بعضنا البعض، سيمر البعض مرور الكرام، كعابر سبيل، وسيحيا بعضهم في قلوبنا، لكن خارج حياتنا، ولكن البعض سيحيوا في قلوبنا وحياتنا وروحنا.

أنهى فهد عمله باكرًا، تحسّن حال مصعب كثيرًا بالعلاج، لكن ذلك الجرح السخيف لن يمحيه شيء، انتحار فاطمة كانت صدمة له، لكن الوقت كفيل، فالوقت ينسينا ما استعصى نسيانه، تزوج كل من أخوات فاطمة، وبقي والدها ويخدمه ابنه، يزورهم فهد بين الحين والآخر، تزوج أيضًا حسين و أنجبَ لوسين، أراد تخليد ذكراها، فقد كانَت قمرًا، أنارت ليل الجميع.

عاد فهد لمنزله الدافئ المليء بالحياة، بعد أن اطمأن على الجميع، سيغادر مصر غدًا، فقد تم تعيينه في جامعة (أكسفورد)، اتصل برقم يحفظه على ظهر قلبه:

- أنا جاي، البسي و انزلي!
- هنروح فين؟
- هاخدك مكان حلو، عشان نودّع مصر واحنا مرتاحين.
- حاضر

ارتدت ملابس ثقيلة؛ لأن الشتاء قارص، ونزلت مسرعة إليه:

- هتاخدني فين؟
- حطي دي على عنيكي، وامسكي الورد دة!
- الورد دة ليا؟

- لا، الورد دة لأحلى بني آدمة في حياتنا!
- حاضر!
- حاسك مش مبسوطة!
- خايفة من المستقبل!
- أنا معاكي لآخر العمر، وهحبك لآخر العمر.

وضعت الخرقة على عينيها، أمسكت الورد بحنان، تفكّر لمن الورد، أمسك يديها و انطلق.

وصل للمكان المنشود، فتح لها الباب وأمسك بيديها، يرشدها للطريق.

- وصلنا!

وضعت الخرقة جانبًا، امتلأت عيناها بالدموع.. (قبر المرحومة عزة السيد عيسى)

- أمي، سامحيني يا أمي.
- مامتك مسامحاكي، وكلهم سامحوكي... سامحينا احنا!
- انتم مين؟

أصوات كثيرة تأتي من خلفها، تعرفهم جميعًا حق المعرفة، نظرت خلفها والدموع تنهمر من عيونها... أنتم من يجب أن يغفروا لي.

جميعهم هنا.....

معها.....

بجانبها.....

بداخلها.....

(العفو عند المقدرة... العفو عند الشدائد... العفو عند المستحيل)

تمت بحمد الله

5/1/2018

للتواصل مع الكاتبة

https://www.facebook.com/nora.saeed.75641

رسالتنا في المكتبة العربية للنشر والتوزيع:

- نشر كل إنتاج إبداعي ذي جودة عالية و أفكار أصيلة تعبر عن هويتنا العربية وتاريخنا العريق، تحترم قيم مجتمعنا ومعتقداته، لا تساعد في نشر العنف أو العنصرية، ترسّخ لمبدأ المساواة والحرية والعدالة. والسعى نحو الارتقاء بالأدب العربي في كافة مجالاته، والوصول به نحو العالمية.

لمراسلتنا بشأن نشر الأعمال الأدبية

arabiclibrary2017@gmail.com

صفحتنا على موقع الفيسبوك

facebook.com/arabiclibrary2017